سيتالو

الطبعة الأولى

١٤٤١ هـ ـ ٢٠٢٠م

تنبيه

لا يجوز نشر أي جزء من هذا الكتاب أو اختزال مادته بطريقة الاسترجاع أو نقله على أي نحو أو بأي طريقة سواء كانت إلكترونية أو ميكانيكية أو بالتصوير أو بالتسجيل أو خلاف ذلك إلا بموافقة المؤلف والناشر على هذا كتابة ومقدمًا.

رقم الإيداع

٢٠١٩/٢٠٢٠٢

بطاقة فهرسة

بكر ، محمد محمد

سيتالو: رواية/ محمد محمد بكر ط١ - القاهرة: دار غراب للنشر والتوزيع: ٢٠١٩

١٣٦ صفحة؛ ١٤ x ٢٠ سم

تدمك: ٤-١٨٥-٧٨٦-٩٧٧-٩٧٨

١ - القصص العربية

أ - العنوان

دار غراب للنشر والتوزيع

٨ عمارات الواحة - قطعة ١٠

مدينة نصر ـ القاهرة

ت: ٠١١١٠٣٧١٦٤٠

info@ghorabpublishing.com

تصميم الغلاف

رائد مجدي

التدقيق اللغوي

خالد رجب عواد

التنسيق الداخلي

أحمد البسيوني

سيتالو

رواية

محمد محمد بكر

انهض.. إنك لست بميت.

كثيرًا ما شغلتها هذه الجملة الواردة في كتاب الموتى الفرعوني الذي دأبت على قراءته في أثناء دراستها لعلم التخاطر في أمريكا، وفي أثناء حصولها على درجة الدكتوراه في الطب النفسي، ولم تكن تعلم أن هذه الجملة ستطاردها سنواتٍ وسنوات، وأن هناك شخصًا ما في مكانٍ آخر مهووسًا أيضًا بكتاب الموتى والبحث في أسراره.

هالة محمود طبيبة نفسية حاصلة على الدكتوراه في الطب النفسي من جامعة هارفارد الأمريكية، هكذا قدَّمت نفسها وهي تمدُّ يدها إلى الدكتور منتصر صاحب المصحة النفسية ومديرها التي ستعمل بها، وصديق والدها محمود، العالم طبيب العظام المشهور، الذي رحَّب بها ترحابًا شديدًا لصداقته الكبيرة بوالدها، وهي الصداقة التي أشار إليها في حديثه قائلًا:

– نورتي مصر يا دكتورة هالة.. كبرتي ما شاء الله وبقيتي دكتورة..دانا شوفتك وانتي لسه مولودة صغيرة.. أصل انا اللي كنت شاهد على زواج

والدك ووالدتك، واعرف والدك من اكتر من ٤٠ سنة. ماتتصوريش فرحت أد إيه لما قالي إنك راجعة مصر بعد ما أخدتي الدكتوراه وأنا اللي أصريت إنك تيجي معايا هنا في المستشفى.

تشربي إيه الأول؟

ابتسمت هالة بفعل الترحاب الشديد من الدكتور منتصر، ثم سرعان ما استعادت جديتها، وهي الطبع الغالب على شخصيتها، وأشارت إليه برغبتها ألَّا تؤثر صداقته لوالدها في علاقته بها كونها طبيبة تعمل في المصحة، ورغبتها في الإشراف على بعض الحالات كتطبيقٍ عملي لتنفيذ الوسائل العلاجية التي حصلت بموجبها على درجة الدكتوراه من كبرى جامعات أمريكا؛ مما جعل الدكتور منتصر منبهرًا بحماستها وجديتها في العمل.

وقد كان سعيدا جدًّا بها، واعتبرها إضافة كبيرة إلى فريق الأطباء بالمصحة، وبعد تناولها مشروبها في مكتب الدكتور منتصر اصطحبها إلى حجرة أرشيف ملفات النزلاء، وهي حجرة تقع في بدروم المستشفى، يتم بها حفظ مختلف الملفات التي تحتوي على بيانات نزلاء المستشفى، ويعمل بها شخص واحد هو الأستاذ مصلح، رجل في منتصف الأربعينيات، حاصل على بكالوريوس التجارة، يشبه كثيرًا الموظف الروتيني في الأفلام القديمة، فهو يرتدي نظارة سميكة لا تستطيع أن تلمح عينيه من خلف زجاجها المتسخ قليلًا، وملابسه تنمُّ عن رِقَّة حالِه، والحُجرة ليست بالمكان المتسع، بل هي حجرة صغيرة تشغل الأرففَ جوانبها كافة، وقد وُضعت ورقة صغيرة فوق كل رفٍّ مدون عليها أحد الحروف الأبجدية، وفي أحد الجوانب مكتب

خشبي صغير عليه بعض الأوراق يجلس عليه الأستاذ مصلح، وفي وسط الغرفة منضدة صغيرة، ومقعد واحد، وسُلم معدني صغير، مسنود على الحائط، بجانب مكتب الأستاذ مصلح.

اصطحب الدكتور منتصر هالة إلى غرفة الأرشيف لتطلع على ملفات النزلاء، وتختار منها الحالات التي تتناسب مع تخصصها وإمكان تطبيق الوسائل العلاجية الجديدة عليها، ونبَّه على مصلح موظف الأرشيف بتقديم كل المساعدة للدكتورة هالة، وعرض جميع الحالات عليها.

بدأ مصلح في إنزال الملفات، الواحد تلو الآخر، والدكتورة هالة تقرأ في كلٍّ منها بتمعُّن شديد إلى أن شعرت ببعض الإرهاق، فرفعت رأسها عن الأوراق، وحرَّكت جسدها بعض الشيء لتستعيد نشاطها، فوقع نظرها على ملف بلون مختلف عن كل الملفات بأحد الأرفف الموجودة بالغرفة، فقد غُلف هذا الملف باللون الأحمر، وباقي الملفات كانت مغلفة باللون الأزرق؛ مما جعلها تبادر مصلحًا بالسؤال، وهي تشير إلى الملف الأحمر قائلة:

– أستاذ مصلح، ممكن أشوف الملف الأحمر ده؟

ظهر الارتباك على مصلح جليًّا، وعدَّل من وضع نظارته كأنه يداري ارتباكه وهو ينظر في اتجاه الملف الأحمر:

• إيه الملف الأحمر؟! ليه يا دكتورة؟

– هو مش ده برضه ملف نزيل في المصحة؟

• هو فعلًا ملف نزيل في المصحة.. بس ده مش أي نزيل ده ملف سيتالو.

عقدت هالة ما بين حاجبيها في استغرابٍ قائلةً:

– سيتالو.. هو مش سيتالو ده اسم عقار مضاد للاكتئاب؟

تحرَّك مصلح من مقعده فوق المكتب، ووقف حائلًا بين الملف والدكتورة هالة كمن يُداريه عن عينيها:

• هو دخل هنا باسم أشرف الحوتي.. الدكتور أشرف الحوتي أستاذ علم الاجتماع بجامعة القاهرة.. إنما من كتر حالات الاكتئاب اللي عنده بقينا مسمينه سيتالو.

– آه، يعني مريض اكتئاب عادي. طب وليه ملفه باللون الأحمر برضه؟

• لا يا دكتورة ده مش مريض اكتئاب عادي، ده حالة لوحدة.

– طب ممكن توريني الملف وأنا أفهم حالته؟

التفتَ مصلح وأمسك الملف بيديه، وعاد إلى مكتبه، ووضع الملف في أحد الأدراج، وأغلق درج المكتب، ونظر إلى الدكتورة هالة قائلًا:

– للأسف يا دكتورة، الحالة دي تحديدًا الدكتور منتصر مشدد إن ماحدش يطلع عليها غيره، ولا يلمس الملف ده غيره.

ازدادت الدهشة على وجه الدكتورة هالة وهي تقول:

– آه بس الدكتور منتصر قالك توريني كل حاجة.

فأجابها مصلح:

• كل حاجة إلا الملف ده يا دكتورة، أرجوكي أنا مش قد غضب الدكتور منتصر.

لملمت الدكتورة هالة الأوراق التي أمامها ووضعتها جانبًا، وحملت حقيبتها، واتجهت مباشرة إلى مكتب الدكتور منتصر والأفكار تتراقص في عقلها حول ماهية هذا الملف وصاحبه، فلماذا يُصدر الدكتور منتصر تعليمات مشددة للأستاذ مصلح موظف الأرشيف بعدم اطِّلاع أي شخصٍ على هذا الملف، وما سِرُّ ارتباكه حينما شاهدت الملف وطلبت منه رؤيته؟

قطعت هالة الطرقة المؤدية إلى مكتب الدكتور منتصر مسرعة، رغم شعورها أن الطرقة تزداد طولًا، حتى وصلت إلى مكتب الدكتور منتصر، وطَرَقَت الباب، وهمَّت بالدخول، إلا أنها فوجئت أن الباب مغلق، فتلفَّتت يمينًا ويسارًا، فوقع بصرها على عامل البوفيه الذي بادرته بالسؤال عن الدكتور منتصر، فأجابها أنه استقلَّ سيارته ورحل ليلحق بميعاد عيادته الخاصة.

شعرت هالة بخيبة أمل لحظةً، فرحيل الدكتور منتصر يعني أنها لن تعرف سِرَّ هذا الملفِّ لهذا النزيل إلا في الغد، لكنها سرعان ما استعادت هدوءها، وشكرت العامل، واستقلت سيارتها ورحلت إلى منزلها، وفي الطريق ظلَّت الأفكار تُشاغل عقلها عن سِرِّ هذا النزيل صاحب الملف الأحمر، وما الذي

يدعو طبيبًا كبيرًا مثل الدكتور منتصر لإصدار تلك التعليمات المشددة بعدم اطلاع أي شخص على حالة هذا النزيل؟ وما خطورة هذا المريض؟ فأقصى حالات الاكتئاب هي إيذاء المريض لنفسه أو المحيطين به، والقريبين منه، وهذا في الطب النفسي لا يُعد مرضًا خطيرًا يمنع اطلاع الأطباء عليه، فلا بد من سبب آخر، وبينما هي غارقة في أفكارها وصلت إلى فيلا والدها طبيب العظام المشهور، وهي فيلا تقع على النيل، وتحيط بها مساحات خضراء؛ مما يوفر جوًّا من الهدوء الساحر، وما إن يهبط الليل حتى تتحول الفيلا كجوهرة تتلألأ وسط الظلام، ويصبح الأمر أشبه بلوحةٍ فنيةٍ بديعة، فأضواء البواخر السياحية على الطرف الآخر تنعكس على صفحة المياه وتتراقص كالنجوم في حضن السماء بفعل الأمواج الهادئة لمياه النيل.

ما إن دخلت هالة من باب الفيلا حتى وجدت والدها على وشك الرحيل للذهاب إلى عيادته الخاصة، فهو أستاذ جامعي بكلية طب القصر العيني، ويملك عيادة خاصة في أرقى إحياء العاصمة، شخصية هادئة جدًّا، توفيت زوجته والدة هالة في حادثة سير في أثناء عودتهم من الساحل الشمالي، فقد انقلبت بهم السيارة، وخطف الموت زوجته، وتركه هو وابنته الوحيدة التي أُصيبت بصدمة عصبية بعد الحادثة؛ مما دعاه إلى أن يوافق على طلب شقيقته أن تسافر ابنته لتقيم معها في الولايات المتحدة الأمريكي للخروج من هذه الحالة، واستكمال دراستها هناك، حتى حصلت على درجة الدكتوراه في الطب النفسي، وقررت العودة للإقامة مع والدها بمصر مرة أخرى، كان

هذا منذ بضع سنين، ولم يتزوج بأخرى، بل اكتفى بعملِه، وابنته الوحيدة، وحبِّه الشديد، وإخلاصه لزوجته الراحلة، فلم يقوَ على أن تشاركه امرأة أخرى حياته بعد رحيل زوجته، رغم أنه يعدُّ من الأطباء البارزين في تخصصه، ويتمتع بسمعة طيبة بجانب المستوى المادي الميسور، كما يتمتع أيضًا بقدر كبير من الوسامة.

استقبلها والدها بترحاب شديد، وطبع قُبلتين على وجنتيها، وسريعًا اطمأنَّ عليها إلا أنه اعتذر لها لضيق الوقت، على وعدٍ بالحديث عن يومها باستفاضة حال رجوعه من عيادته الخاصة، فابتسمت هالة في هدوءٍ، فهي تعلم كيف يُقدس والدها مواعيد عمله، وانطلقت بخطوات سريعة كعادتها إلى غرفتها، فهي دائمًا خطواتها سريعة، وتلمس فيها الجدية، وما إن دخلت إلى حجرتها حتى انفردت بكتابها المفضَّل "كتاب الموتى الفرعوني" فهذا الكتاب يأسرها جدًّا بما يحمله من أسرار عن الحياة الأخرى طبقًا للمعتقدات الفرعونية، وكثيرًا ما حاولت فَكَّ أسراره والغوص فيها عَلَّها تظفر بفك شفرات هذا الكتاب الذي نُسجت حوله الكثير من الحكايات والأساطير، بل لعل الأساطير التي تُروى عن هذا الكتاب فاقت ما كان يُروى عن لعنة الفراعنة، تلك اللعنة الغامضة التي أشار كثير من العلماء إلى أنها مجرد خرافة، وأن السبب في حالات الوفاة والاختناق لمن يفتح المقابر الفرعونية هي بكتيريا تنمو في هذه المقابر، بل إن الدكتور عز الدين طه بجامعة القاهرة في

عام ١٩٦٢ قد أشار إلى أن لعنة الفراعنة ما هي إلا بكتريا تنمو في المقابر، ولديها القدرة على الحياة لآلاف السنين تصيب الشخص فور فتح باب المقبرة، وأنه لا وجود لما يُسمى لعنة الفراعنة، إلا أنه تُوفي في حادثة سير في طريق القاهرة – السويس بعدها مباشرة، وحتى العالم الفرنسي الشهير شامبليون مكتشف طريقة فك رموز حجر رشيد فور اكتشافه طريقة فك الرموز الفرعونية المُدوَّنة على حجر رشيد، وبمجرد أن صاح أمام أخيه الأكبر: لقد نجحت.. لقد نجحت، أُصيب بالإغماء لمدة خمسة أيام، وما إن استفاق حتى ظل يهذي بأسماء ملوك الفراعنة، ويردد هذ الأسماء مرات ومرات دون توقُّف، وفي عام١٩٢٧ سافر على رأس بعثةٍ علميةٍ إلى مصر بتمويلٍ من الملك شارل العاشر، إلا أن ذلك كان بداية النهاية، حيث عاد إلى فرنساً عام ١٩٣٢، وتُوفي فور عودته بعد إصابته بالشلل، ولم يستطع الأطباء تحديد سبب الوفاة، وتُوفي وقد بلغ من العمر٤٢ عامًا.

وإذا كانت لعنة الفراعنة حتى الآن لم يستطع أحد نفيها أو إثباتها، فقد أُثيرت أساطير وحكايات حول كتاب الموتى الفرعوني تفوق كثيرًا ما يُروى عن لعنة الفراعنة، منها: أن هذا الكتاب يحمل بين طياته أسرار الفراعنة ومعتقداتهم حول العالم الآخر، وأن هذا الكتاب يُمكّن من يقوم بفكِّ شفراته، وما بين سطور رموزه من القدرة على التنبُّؤ بالمستقبل لكل شخص، والتحكم في مصيره، بل أكثر من ذلك، حيث يستطيع مَنْ يُتقن بعض التعاويذ السحرية في الكتاب أن يُحضِّر أرواح الموتى بل، وصلت بعض

الأساطير إلى إحياء الموتى، ولعل هذا الجزء تحديدًا هو ما كان يجعل هالة مفتونةً بكتاب الموتى، فكثيرًا ما تمنت الوصول إلى تعويذة تساعدها على إحياء أمِّها بضع لحظات، ورغم عدم منطقية الأسطورة، وأنها لا تعدو كونها أسطورة خرافية يرفضها العقل والدين، إلا أن ذلك الشعور المدفون بداخلها من الاشتياق إلى أمِّها ولمساتها الحانية، وحِضنها الدافئ كثيرًا ما كان يصرخ بداخلها ويدفعها دفعًا نحو البحث بداخل تعاويذ الكتاب لعلها تستحضر روحها لحظاتٍ، فقد أُصيبت بعد وفاة والدتها في الحادث بانهيار عصبي، وظلَّت لفترة ترفض تصديق أن أمَّها قد ماتت، وأنها لن تراها ثانية، بل إنها أحيانًا كانت تُلقي اللوم على أمِّها لأنها تركتها وهي تحتاج إليها وتخلَّت عنها واختفت، وظلَّت صورة مشهد الحادثة وأمُّها تنزف الدماء من كل جسدها وتنظر لها بعينين متوسلتين والدماء تسيل من جانبي فمها كخيوط حمراء لا تتوقف، وتنطق شفتاها بكلمةٍ واحدة بصوت متهدج وهي كلمه (أنقذيني) هي الهاجس المرعب المطبوع في مُخيلتها سنوات، بل إنها احتفظت بصورة من تقرير الوفاة الخاص بوالدتها، الذي أشار إلى أن سبب الوفاة كسور حادة في مناطق متفرقة من الجسم والجمجمة أدت إلى نزيفٍ حادٍّ داخل الجمجمة، وانتهت بالوفاة.

انفردت هالة بالكتاب بعد أن استبدلت ملابسها، وجلست في مكانها المفضَّل على مقعدٍ أسفل شباك الغرفة التي تضمُّ بجانب غرفة النوم مكتبًا لها، وذلك المقعد الأثير الموضوع أسفل الشباك، الذي كثيرًا ما تُفضل الجلوس

عليه للقراءة، فجلست لتستمتع بقراءة الفصل التاسع من الكتاب، وهو المعنون باسم فصل الظهور في النهار، وبدأت في القراءة بصوت عالٍ:

(مرحى أيتها الروح، أنتِ القوة العظيمة القادرة، ائتِ إلى هنا، لقد أتيتُ وأنا أنظر إليك، لقد مررت عبر دوات، لقد رأيتُ أبي أوزوريس لقد بددت حلكة الليل).

وهنا بدأت صفحات الكتاب تتقلب مرة واحدة، كأن تيارًا شديدًا من الهواء يصبُّ جام غضبه عليها، وبدت كأنها تدفع هالة إلى قراءة شيء معين وفصلٍ معين، فتلفَّتت هالة يمينًا ويسارًا لعل ذلك بفعل الهواء، فلم تجد نوافذ مفتوحة، كما أنه لا توجد مراوح في غرفتها، بل حتى جهاز التكييف بحجرتها مغلق، مما أثار اندهاشها لحظة، ولكنها سرعان ما أبعدت تلك الدهشة من داخلها، وعاودت هالة القراءة:

(إني محبوبة، لقد أتيتُ ونظرت إلى أبي المقدس، وطعنت ست الشرير، لقد فعلت كل الطقوس التي يحتاج إليها أبي المقدس أوزوريس، لقد فتحت كل الدروب في السماء وعلى الأرض، إني الابن الذي يحب أباه أوزوريس، لقد أصبحت سعحو لقد أصبحت خو).

وهنا بدأ الكتاب في الاهتزاز كأن زلزالًا قويًّا يضرب الحجرة، وانبعث ضوء شديد من صفحات الكتاب غمر الغرفة بأكملها، جعل هالة تضع يدها أمام عينيها وتغمض عينيها، وما إن انقشع هذا الضوء رويدًا رويدًا،

وبدأت هالة في رفع يدها من فوق عينيها، وبدأت في فتحهما تدريجيًّا حتى وجدت أمامها ما لا يصدقه عقل.

فقد وجدت مشهدًا رأته كثيرًا في كتاب الموتى، فشاهدت الغرفة وقد تحولت إلى ما يُشبه المقبرة الفرعونية، فالنقوش الفرعونية بألوانها الزاهية غطت الجدران، وأمامها يجلس الملك أوزوريس على العرش، ويقف عن يمينه أخته نفتيس، وعن يساره أخته وزوجته إيزيس، وأمامه زهرة اللوتس، ويقف عليها أربعة رجال، هم أبناء حورس، وأبناء أوزوريس الأول برأس إنسان، والثاني برأس قرد، والثالث برأس ابن آوى، والرابع برأس صقر، أما سقف الغرفة فقد أصبح قائمًا على أعمدة على شكل زهرة اللوتس، وأمامهم مائدة القرابين والكهنة يقتادون شابًّا ويُجلِسونه أمام أوزوريس، وأكثر ما لفت انتباهها أن المرأة الواقفة على يسار العرش وهي إيزيس تشبهها كثيرًا، ورغم أنهم لم يولوها أي اهتمام فقد اقتربت أكثر من كرسي العرش الجالس عليه أوزوريس لتسمع حديث الكهنة الذين بدؤوا الترتيل قائلين:

لقد أتينا لك يا أون نفر أوزوريس، وقد أحضرنا إليك المخلوق آني، وقام تحوت بوزن قلبه كما أمرتَ، ووجده ناصعًا خاليًا من الآثام، وأنه بالحقيقة حقٌّ وعادل، فامنحْهُ الفطائر والجعة، وأدخله في أتباع حورس نحو الخلود للأبد، للأبد.

وفجأة، استدار أوزوريس، وتلاقت عيناه بعيني هالة التي ارتعد جسمها فجأةً، وتحجرت عيناها، واتسعت حدقتاها، وسَرَتْ في جسدها رعشة كأنها

أُصيبت بصدمةٍ كهربائيةٍ مفاجئة، وانتفضت ووقعت على الأرض مغشيًّا عليها من هول الصدمة، وحين استعادت وعيها وفتحت عينيها وجدت الحجرة كما كانت دومًا حجرتها العادية، لا يوجد بها أيُّ تغير، فلا نقوش فرعونية على الجدران، ولا يوجد أشخاص أو كهنة أو مائدة للقرابين.

ظلت هالة فترة من الوقت تنظر إلى الحجرة وأركانها وهي ملقاة على الأرض في صمت تامٍّ، وفي حالة من عدم الاستيعاب، ودارت تساؤلات عديدة في رأسها:

تُرى، هل كان ما رأيتُه حقيقيًّا؟ وهل جذبني الكتاب إلى داخله لرؤية العالم الآخر؟ وهل هذا الكتاب يحمل بين طياته من الأسرار ما يجعله يأخذني إلى عالم آخر؟

إلا أن طبيعتها العلمية رفضت ذلك تمامًا، بل كان التفسير الأقرب إلى عقلها أنها نامت وهي تقرأ الكتاب، وأن كل ما رأته لا يعدو أن يكون حُلمًا أو كابوسًا، وأنه لا مجال لتلك الخرافات التي يرفضها العِلم، فكيف تؤمن هي بوجود هذه الظواهر الخارقة وهي الحاصلة على درجة الدكتوراه من أكبر جامعات الولايات المتحدة الأمريكية؟ وظلت الأفكار تتلاعب ما بين هذا وذاك بداخل عقلها، ولم يخرجها من هذه الحالة إلا صوت والدها وهو يناديها بعد رجوعه من عمله، فنهضت وعدلت من ملابسها، ونزلت من غرفتها بالطابق العلوي لمقابلة والدها الذي استقبلها كعادته بقُبلتين على وجنتيها، وربت على كتفها، وأجلسها بجواره للحديث عن أول أيام

عملها بالمستشفى، وعن علاقته الممتدة منذ أيام الشباب بالدكتور منتصر، وأنه صديق العمر بالنسبة له، وبدورها أثنت هالة جدًّا على استقبال الدكتور منتصر لها، وسعادتها بالعمل معه، إلا أنها لم تذكر من قريب أو بعيد أي شيء عن الملف الأحمر لذلك النزيل بالمستشفى، ربما لعدم أهمية الموضوع لوالدها، واعتبارها أن الأمر لا يستحق الحديث عنه مع والدها، وأنه يقع في نطاق التفاصيل الصغيرة للعمل التي لا تريد أن تشغل والدها بها، خصوصًا بعد عودته مُرهقًا من عمله، إلا أن والدها لاحظ شرودها كثيرًا في أثناء الحديث، كأن هناك ما يشغل بالها بشدةٍ، ورغم نفيها ذلك وتبريرها هذا الشرود بالإرهاق، فلم يمض على وصولها من أمريكا إلا ثلاثة أيام، وتسلَّمت عملها بمستشفى الدكتور منتصر فور وصولها، ورغم عدم اقتناع والدها بهذا المبرر فلم تشأ أيضًا أن تخبره عمَّا حدث بالغرفة، وما رأته من أحداث لاقتناعها أن الأمر لا يعدو كونه مجرد حلم أو كابوس نتيجة استغراقها في القراءة في كتاب الموتى الفرعوني، بجانب إرهاق أول أيام العمل، وبعد تناول العشاء ذهب كل منهما إلى غرفته لينالا قسطًا من الراحة، استعدادًا ليوم غد، فصعدت هالة إلى غرفتها، وبمجرد دخولها الغرفة ظلت تتفحصها، وتتجول بعينيها في أرجاء الغرفة كافة، وتتلمس الجدران كأنها تريد أن تؤكد لنفسها أن ما حدث هو حلم، وأنها تلمس الواقع بيديها، وقد بدا كل شيء طبيعيًّا؛ مما زاد من اقتناعها أن الأمر كان حلمًا، وليس أكثر من ذلك، فأطفأت الأنوار، وخلدت عيناها للنوم.

في اليوم التالي استيقظت هالة مبكرًا بعد قضاء ليلتها في نوم متقطع، فعقلها لم يتوقف عن التفكير في ما حدث بالغرفة أمس، فبدا علىً قسمات وجهها تأثير إرهاق عدم النوم المريح الذي ظهر لها جليًّا وهي تنظر في المرآة، ولكن ما جذب انتباهها أكثر أنها وجدت على التسريحة قلادة غريبة ليست ملكًا لها، فاقتربت منها، وتفحَّصتها فوجدتها قلادة عين حورس مصنوعة من الذهب.

وتشير البرديات المصرية القديمة، والنقوش المرسومة على جدران المعابد أن تاريخ عين حورس يرجع إلى أنه في أثناء الصراع الأزلي بين ست وابن أخيه حورس يفقد الأخير عينه اليسرى، تدخل الإله "تحوت" واستبدلها بالوادجت ليستعيد بصره، وتميمة الوادجت أو عين حورس رمز للحماية، ودفع للشر، وجلب للخير، رمز للوقاية من المرض، ودفع الحسد، والقضاء على الشياطين، وهي القوة المستمدة من حورس نفسه، فتقلَّدها الملوك المصريون ووضعوها على صدورهم، ورسموها فوق التوابيت، وفي مقدمة المراكب، وعلى جدران المقابر رمزًا ومعنًى للحماية، ولعل المثل الشعبي العين عليها حارس هو في الأصل العين عليها حورس.

ولكن، مِن أين جاءت هذه القلادة؟ ومَن وضعها بداخل الغرفة؟ ومتى وضعها؟ ولماذا وضعها؟ كل تلك الأسئلة دارت في رأسها لحظة وهي ممسكة بالقلادة وتنظر إليها في ذهولٍ، بل لعل بعض الخوف تسلل إليها، وربطت بين وجود القلادة وما رأته أمسِ داخل الغرفة، وبدأت تسري في جسدها رعشة بسيطة وهي تنظر إلى كتاب الموتى، وتتقدَّم نحوه وهو في مكانه الذي تركته

فيه أمس على المقعد أسفل شباك غرفتها، وللمرة الأولى تبدو خطواتها بطيئة على عكس دقات قلبها المتسارعة وهي تتقدم نحو الكتاب خطوة خطوة، وهي تمسك بالقلادة في يدها وتضغط عليها بقوةٍ، وما إن همَّت بوضع يدها على الكتاب لتفتحه حتى دَقَّ هاتفها الخلوي، فانتفض جسدها مرة واحدة، ولكنها سريعًا ما استعادت رباطة جأشها، والتفتتْ لتجد هاتفها الخلوي، فأمسكت به لتجد المتصل والدها الدكتور محمود الذي بادرها قائلًا:

– يا رب تكون الهدية عجبتك.

أجابت هالة في استغراب:

– هدية إيه؟

فأتى صوت والدها بضحكةٍ خفيفة:

– الهدية اللي على التسريحة.. مش دي برضه اسمها عين حورس، إنتي ماشفتيهاش ولا إيه؟

فأخذت هالة نفسًا عميقًا كمن ألقى عبئًا ثقيلًا من فوق كاهله، وأجابت والدها قائلة:

– اااه يا بابا شفتها، هو حضرتك اللي حطيتها على التسريحة؟

أطلق الأب ضحكة عالية وهو يقول:

– أيوه طبعًا هو حد يقدر يدخل أوضة القمر وهو نايم غيري.. أنا حبيت أعملهالك مفاجأة.

بدأت هالة تُقلب في القلادة بين أصابعها كأنها تتفحصها برويةٍ قائلة:

– ودي جاتلك منين يا بابا؟

صمت الأب لحظة، وأختلط صوته بصوت شخصٍ آخر يحدثه، ثم عاد إلى محادثة هالة قائلًا:

– معلش يا هالة أنا في الكلية دلوقتي لما ارجع على الغدا أحكيلك الموضوع بالتفصيل.. سلام يا حبيبتي.

أجابته هالة بكل هدوء:

– سلام يا بابا.

شعرت هالة بالراحة النفسية لحظة، وأخذت نفسًا عميقًا وأخرجته بهدوء، فالقلادة أحضرها والدها، ولا يوجد في الأمر أي شيء غريب؛ مما زاد من اقتناعها أن ما حدث أمس هو حلم وليس أكثر من ذلك، ولكن طرأ إلى ذهنها سؤال آخر: لماذا أختار والدها قلادة عين حورس تحديدًا في هذا الوقت؟ بالفعل والدها يعلم وَلَعَها الشديد بعلوم الفراعنة وأسرارهم، ولكن هل يعلم والدها أيضًا أن من يرتدي عين حورس قد قدَّم نفسه قربانًا للآلهة طبقًا لما ورد في برديات الفراعنة، وأن أساطير كثيرة تُروى عن هذه العين تحديدًا، وضعت هالة القلادة في علبة جواهرها، إلا أن لتساؤلات ظلت تشغل عقلها وهي ترتدي ملابسها وتستقل سيارتها إلى أن وصلت إلى مستشفى الدكتور منتصر للقيام بعملها، وبمجرد وصولها صعدت مباشرة إلى مكتب الدكتور منتصر لمقابلته والحديث معه عن صاحب الملف الأحمر،

وما إن دخلت مكتبه حتى رحَّب بها، وأشار إليها بالجلوس أمامه على المقعد أمام مكتبه الخشبي، وبادرها بالسؤال:

– انتي طلبتي تشوفي الملف الأحمر ليه يا دكتورة هالة؟

ظهرت علامات الدهشة على وجه الدكتورة هالة لحظةً وأجابته:

– غريبة! ده فعلا الموضوع اللي كنت جايه أكلم حضرتك فيه، بس حضرتك عرفت منين؟

عاد الدكتور منتصر بجسده على المقعد للخلف وابتسم ابتسامة خفيفة قائلًا:

– مصلح اتصل بيا وقالي انتي عارفة ماحدش هنا يقدر يعمل حاجة من غير ما يرجعلي ويبلغني، قوليلي كنتي عاوزة تطلعي على الملف ليه؟

أجابت هالة وهي تحاول أن تجعل الأمر يبدو عاديًّا:

– مافيش سبب محدد.. بس استغربت لما لقيت إن ده الملف الوحيد اللي لونه مختلف، واستغربت أكثر لما عرفت إن حضرتك إديت مصلح تعليمات مشددة إن ماحدش يطّلع على الملف غير حضرتك.

تحرَّك الدكتور منتصر من فوق مكتبه متجهًا إلى المقعد المقابل للدكتورة هالة، ووقف خلفه وهو يقول:

– فعلًا أنا مدي تعليمات بكده لمصلح لأن ده مش مريض عادي.

تساءلت هالة في فضول:

– مش مريض عادي إزاي يا دكتور؟

صمت الدكتور منتصر لحظة كمَن يفكر في الإجابة، ثم جلس على المقعد المواجه لهالة وقال:

– شوفي يا دكتورة هالة.. المريض ده تحديدًا أنا بنفسي اللي بتابع حالته، وانتي طبعًا عارفة إن من أصول المهنة إني أحتفظ بأسرار المريض بتاعي وحالته طالما أنا الطبيب المشرف على حالته، ولا إيه يا دكتورة؟

ظهر ارتباك الخجل على وجه هالة وفركت يديها قائلةً:

– طبعًا يا دكتور ده حق حضرتك وأسفة جدًّا إذا كنت اتدخلت في أمر يضايق حضرتك.

ابتسم الدكتور منتصر ليخرجها من تلك الحالة قائلًا:

– لا خالص، ولا يضايقني ولا حاجة .. ها قوليلي، اخترتي الحالات اللي هاتشرفي عليها ولا لسه؟

أجابت هالة:

– لا، للأسف لسه، النهارده بإذن الله هادرس الملفات وأختار الحالات اللي هاشرف عليها، واعرض على حضرتك تقرير كامل عن كل حالة وأسلوب العلاج اللي هاستخدمه.

أجاب الدكتور منتصر وهو يعود إلى مقعده خلف مكتبه الخشبي:

– على بركة الله، وبالتوفيق يا دكتورة بإذن الله.

وقفت هالة وأمسكت حقيبتها تمهيدًا لانصرافها، وقالت:

– أستأذن حضرتك، هانزل الأرشيف عند الأستاذ مصلح.

أشار الدكتور منتصر بيديه في اتجاه الباب مبتسمًا:

– طبعًا طبعًا يا دكتورة، اتفضلي.

انصرفت هالة من مكتب الدكتور منتصر الذي قام فور انصرافها بالاتصال بالأستاذ مصلح موظف الأرشيف ليبلغه بقدوم الدكتورة هالة ومساعدتها، وشدَّد عليه بعدم إعطائها أي معلومات عن الملف الأحمر أو صاحبه.

أما هالة فقد خرجت من مكتب الدكتور منتصر وهي تحاول إقناع نفسها أن هذا الأمر عادي، وأن من حق الدكتور منتصر أن يحتفظ بأسرار مريضة، وكذا حالته، إلا أنه ظَلَّ هناك سؤال يشغل عقلها، وهو: لماذا غُلف هذا الملف بلون مختلف عن لون ملفات باقي نزلاء المستشفى؟

وبمجرد دخولها مكتب الأرشيف هبَّ الأستاذ مصلح واقفًا ورحَّب بها، وأشار إليها أنه جهَّز لها الملفات لتقوم بدراستها، فشكرته، وبدأت في دراسة كل ملفٍّ على حدة، واستغرقت في القراءة لكل ملف، إلى أن وقع بين يديها ملفٌّ لسيدةٍ تُدعى نفيسة السيد مرسي، في أوائل العقد الثالث من عمرها، كانت تعملُ في هيئة الآثار المصرية، ويبدو من صورتها الشخصية الموجودة بالملف أنها تتمتع بقدر عالٍ من الجمال، أُصيبت بصدمةٍ عصبيةٍ على إثر رؤيتها لزوجها وهو يخونها مع أختها على فراش الزوجية، دخلت على إثرها المصحة للعلاج، وبدأت في تلقي العلاج فترةً، وبدأت تتحسن حالتها إلى أن حدثت لها انتكاسة مفاجأة في حالتها، وأُصيبت بهلاوس سمعية وبصرية، وبدأت

تتخيل نفسها إحدى ملكات الفراعنة، وأطلقت على نفسها لقب نفتيس، وأحيانًا تُتمتم ببعض الكلمات غير المفهومة، كأنها تُلقي بعض التعاويذ أو ما شابَهَ ذلك.

وقد كانت هذه الحالة من الحالات المُثلى لاختيارات الدكتورة هالة، فبدأت في نقل بيانات الملف ومحتوياته وتسجيلها في أوراقها، بياناتها الشخصية، ورقم غرفتها، وطريقة العلاج، وأنواع العقاقير التي تم استخدامها معها، وبمجرد أن انتهت من نقل محتويات الملف بدأت في استكمال عملها في قراءة باقي الملفات، ولم يُخرجها من تركيزها في البحث والقراءة لما بداخل الملفات إلا صوت الأستاذ مصلح يُخبرها أن الساعة قد قاربت على الثالثة وهو موعد انصرافه من العمل، واستأذنها في الانصراف على أن تستكمل عملها في صباح الغد.

وافقت هالة دون تردُّد، وشكرت الأستاذ مصلح، ولملمت أوراقها، وهمَّت بالرحيل، إلا أنها استدارت، ووجَّهت سؤالًا للأستاذ مصلح:

– إلا قولي يا أستاذ مصلح، هو النزيل صاحب الملف الأحمر في أي قسم من أقسام المصحة؟

ارتبك الأستاذ مصلح، وتردَّد كثيرًا قبل أن يُجيبها وهو يتلعثم:

– إيه.. آه.. الملف الأحمر.. سيتالو. الصراحة يا دكتورة ما اعرفش انتي عارفة أنا موظف أرشيف مش دكتور، فمش مهتم أعرف حاجة عن المرضى. هما بالنسبالي مجرد بيانات في الملفات.. وما اعرفش أزيد من كده.

ورغم شعورها بالدهشة من ارتباك الأستاذ مصلح وتلعثمه كأنه يُخفي شيئًا، فقد أظهرت عدم اكتراثها بالأمر وشكرته، وخرجت لتستقل سيارتها وتعود إلى المنزل، وبمجرد أن استقلت السيارة، وانطلقت بها، وأدارت المذياع لتستمع إلى بعض الأغاني أو الموسيقى الخفيفة لتريح أعصابها بعد يوم عملٍ مرهق، وبدأت فيروز تشدو بإحدى أغنياتها حتى انقطع صوت فيروز، وانطلق صوت المذياع بإحدى الترانيم الفرعونية، فقد انطلق الصوت يُردِّد:

(الذي يراقب في الخفاء هو أوزوريس، هو الذي يحمي أمينته إيزيس، وقد وجد شعرها مسدلًا عليه، الخوف في أثري، والرعب يستقر فوق ذراعي، لقد رقدت ملايين السنين بين ذراعي الشعوب يلتف حولي البشر الفانون، لقد قتلتُ رسل أعدائي، وقبضتُ على قوى الظلام، الكل يخشاني؛ لأني عظيم، أنا إله نفسي، وإله إيزيس ونفتيس، أنا إله نفسي، وإله إيزيس ونفتيس).

وعبثًا حاولت إطفاء صوت المذياع، وقد ارتسمت على وجهها علامات الدهشة والخوف، فهي تحفظ هذه الترنيمة جيدًا من كتاب الموتى رغم تحريفها بعض الشيء، حتى أنها اضطرت لإيقاف السيارة على جانب الطريق.

وما إن انتهت الترنيمة حتى ساد الصمت بداخل السيارة، وتوقَّف المذياع تمامًا وهالة تنظر إليه باندهاش ورعب، وقد تدلَّى فكُّها السفلي بعض الشيء، وبقدر الدهشة والخوف المرسوم على وجه الدكتورة هالة، ارتسمت علامات الدهشة والرعب على وجهها أكثر وأكثر حينما تلفتت حولها فوجدت نفسها ما زالت أمام باب المصحة بداخل السيارة لم تتحرك خطوة واحدة كأنها لم

تُدر حتى محرك السيارة لتتحرك، ساد الذهول والصمت بداخل الدكتورة هالة لدرجة توقُّف عقلها عن التفكير لحظات حتى استعادت وعيها من الموقف، وبدأت تسأل نفسها بصوتٍ عالٍ:

– ماذا يحدث؟ ألم أتحرك بالسيارة؟ هل ما رأيته كان وهمًا أيضًا أم حقيقة؟ ترى، هل ما أراه هو هلاوس مرضية وأنا لا أدري؟ أيُعقل هذا؟

وأخرجت إحدى الحبوب المهدئة من حقيبتها، وتناولتها، وانتظرت قليلًا حتى استعادت رباطة جأشها وهدوءها، وبدأت في التحرُّك، وظلَّت طوال الطريق تنظر إلى المذياع دون أن تجرؤ على تشغيله.

وصلت هالة إلى منزلها، وكل ما يشغلها هو التساؤل عن حقيقة ما حدث، وهل هو واقع أم هلاوس صوَّرها لها عقلها؟ وهل هي مريضة بالفعل ولا تدري أم أن هذا هو نتيجة إرهاق زائد نتيجة السفر وتسلُّمها العمل فورًا دون الحصول على قسط وافر من الراحة؟ حتى أنها لم تستمع لكلام أم هاني الشغالة حينما سألتها عن رغبتها في تناول الغذاء أم أنها تريد الانتظار حتى يعود والدها من العمل؟ وصعدت إلى غرفتها بخطوات بطيئة نوعًا ما على عكس عادتها، والذهول يطغى على ملامحها، وما إن دخلت الغرفة ونظرت إلى كتاب الموتى الفرعوني حتى أمسكت بالكتاب، ووضعته في درج التسريحة، وأغلقت عليه الدرج بالمفتاح كأنها ترغب في أن تسجن هذا الكتاب، وتُبعده عنها، وبدلَّت ملابسها، وما إن انتهت من تبديل ملابسها والجلوس على سريرها حتى أتاها صوت والدها بالأسفل وهو يسأل الشغالة أم هاني عن وصولها من عدمه، التي أجابته بدورها بأنها وصلت منذ قليلٍ، فتحركت

هالة ونزلت لمقابلة والدها الذي استقبلها بابتسامة عريضة فاتحًا ذراعيه، وطبع كعادته قُبلةً على جبينها، واضعًا يديه على أعلى ذراعيها، وأخبرها بأنه يحمل لها أخبارًا سعيدة عن قُرب وصول عمَّتها من الولايات المتحدة الأمريكية لقضاء إجازة لمدة شهر، والإقامة معهما خلاله، إلا أنه لاحظ عدم ظهور علامات السعادة على وجه هالة، ولاحظ شُرودها؛ مما دعاه لسؤالها عن سبب ذلك الشرود، وما يشغل تفكيرها، فأجابته: إنه مجرد إرهاق وليس أكثر، ورغم عدم اقتناعه فقد بدأ يُحدِّثها عن مكالمة عمَّتها له اليوم، وأنها ستحضر في خلال عدة أيام هي والمهندس طارق ابن عمَّتها لقضاء الإجازة معهما، إلا أن هالة قاطعته وسألته سؤالًا كأنها لم تكن تستمع إليه:

– صحيح يا بابا ما قلتليش السلسلة اللي فيها عين حورس دي جبتها منين؟

شرد الأب لحظة، وضاقت عيناه كأنه يحاول أن يتذكر:

– آه السلسلة اللي حطتهالك على التسريحة.. صحيح عجبتك ولا لا.. إوعي تقولي ماعجبتكيش؟

أجابته هالة سريعًا:

– طبعًا يا بابا عجبتني.. بس انا كنت عاوزة اعرف جبتها منين لأن النوع ده من السلاسل مش منتشر.

بدأ الأب في الحديث قائلًا:

– أنا يا ستي كنت من فترة عملت عملية تركيب مفصل لسيدة مغربية.. أعتقد كانت بتقول إن أصولها من أمراء الأمازيغ تقريبًا، والكلام ده كان

من كام شهر. إمبارح زارني واحد بيقول إنه ابنها، وبعد ما شكرني لقيته بيديهالي وبيقولي إن دي هدية متواضعة من والدته ليا؛ لأنها سألت الممرضة وعرفت منها إن عندي بنت.. وبصراحة لما شفتها عجبتني جدًّا، وقلت أكيد هاتعجبك انتي كمان؛ لأني عارف إنك بتحبي الحاجات الفرعونية.. أدي يا ستي، كل الحكاية.

فسألته هالة:

– طب وحضرتك فاكر أي بيانات للست دي؟

فأجابها وهو يبتسم:

– هالة يا حبيبتي، أنا بعمل كل يوم أكتر من عملية هافتكر إيه ولا إيه، بس أكيد البيانات موجودة في المستشفى أو العيادة، انتي مهتمة أوي كده ليه؟ انا مش شايف حاجة غريبة.

فأجابته وهي تحاول أن تُبدي عدم الاهتمام، وأن الأمر لا يعدو كونه فضولًا ليس أكثر.

– لا عادي يا بابا، مش مهتمة أوي ولا حاجة.. أنا بس حبيت اعرف جبتها منين.

نهض الأب وهو يقول:

– واديكي يا ستي عرفتي.. نتغدى بقى، قبل ما اروح العيادة ولا القمر شايف إيه؟

نهضت هالة هي الأخرى قائلة:

– حضرتك اتغدى انت يا بابا، أنا هاطلع أرتاح شوية، وبعدين اقعد اشتغل على ملف الحالة اللي أخترتها علشان أبدأ معاها العلاج.

وضع الأب يده على كتفها قائلًا:

– طمنيني عليكي صحيح.. أخبار شغلك إيه والدكتور منتصر واخد بالة منك ولا لأ؟

فأجابته هالة بلا تردُّد:

– تمام يا بابا الحمد لله، والدكتور منتصر بيعاملني كويس أوي.

ربت الأب على كتفها قبل أن يتحرك:

– طيب يا حبيبتي بالتوفيق إن شاء الله.. ألحق أنا اتغدى علشان معاد العيادة، ولما اجي بالليل بإذن الله أبقى أحكيلك على مكالمة عمتك.

هالة:

– بإذن الله يا بابا.

وانصرفت هالة إلى حجرتها وهي ما تزال شاردة، ويشغلها التفكير فيما يحدث لها، ودخلت حجرتها، وأغلقت بابها عليها، وحاولت أن تُسلم عينيها للنوم، إلا أنها ظلت تنظر إلى سقف الحجرة، ويشغلها التفكير، وفجأة هبَّت جالسة كمن تذكَّر شيئًا، ونزلت من سريرها، وفتحت علبة الجواهر، واخرجت القلادة من العلبة، وظلَّت تقلب فيها يمينًا ويسارًا كمن يبحث

عن شيء، ولكنها لم تجد أي شيء غريب، مجرد عين حورس كما هي موجودة في كل الصور والرسوم الفرعونية، فأحضرت جهاز اللابتوب الخاص بها، وفتحته، وبدأت في البحث على شبكة الإنترنت عن معلومات عن ارتباط عين حورس بالأمازيغ، وظهرت لها نتيجة البحث في عدة مقالات تتحدث عن أساطير وحكايات خاصة بعين حورس، ولكن لفت نظرةا شعار منتشر في بلاد المغرب العربي، وهو عبارة عن يد بخمس أصابع مفرودة ومُرتبة، ويتوسط كَفَّ هذه اليد عينُ حورس، وأن هذا الشِّعار يُستخدم لمنع العين الخبيثة، والطاقة الشريرة، وأن هذه الأصابع الخمس هي العناصر الخمسة لمكونات العالم، وهي الماء والهواء والنار والتراب والحديد، وأن هذا الشعار كان حِكرًا في البداية على الأمازيغ، ويرمز إلى جماعة سرية قامت بمحاربة فرعون طاغية استخدم السحر والعلوم المتقدمة بمساعدة الكهنة للسيطرة على الناس، ونصَّب نفسه إلهًا عليهم، فقاومته هذه الجماعة السِّرية، وانتصرت عليه بعد حُروبٍ مريرةٍ، وأصبح هذا الرمز رمزًا للشجاعة.

بعد انتهائها من البحث على الإنترنت وقراءة المقال أغلقت هالة جهاز اللابتوب، ونظرت إلى الساعة الموجودة على حائط غرفتها، فوجدتها تجاوزت الحادية عشرة مساء بقليل، فقامت واتجهت إلى سريرها عَلَّها تحظى ببعض ساعات من النوم تُعينها على إراحة عقلها من التفكير، واستعانت بواحدة من الحبوب المنوِّمة، وراحت في نومٍ عميق حتى الصباح.

وفي صباح اليوم التالي استيقظت الدكتورة هالة، وارتدت ملابسها، وفكرت في ارتداء القلادة، فأمسكت بها، ونظرت إليها، إلا أنها تراجعت

عن الفكرة وأعادتها إلى عُلبة الجواهر مرة أخرى، ونزلت من حجرتها لتستقل سيارتها وتذهب إلى عملها، وبمجرد وصولها صعدت إلى مكتب الدكتور منتصر، وأبلغته باختيارها مبدئيًّا لحالة نفيسة السيد مرسي، وأنها ستبدأ في دراسة الحالة والعمل على إعداد التقرير الخاص بالحالة، وطريقه العلاج الجديدة ورغبتها في مقابلة الحالة، والتحدث معها، ورحَّب الدكتور منتصر باختيارها، واستدعي إحدى الممرضات، وهي الممرضة إلهام لترافق الدكتورة هالة إلى حجرة نفيسة؛ لمقابلة الحالة، وشكرته الدكتورة هالة، وانصرفت بصحبة الممرضة للتوجه إلى نفيسة.

وفي الطريق إلى غرفة نفيسة تحدَّثت الدكتورة هالة مع الممرضة التي أشارت إلى أن نفيسة كادت تتماثَل للشفاء، لولا حدوث انتكاسة مفاجئة، وأنها بدأت تُصاب بحالة من الهلاوس، وتدَّعي رؤيتها مُلوكَ الفراعنة، والتحدث معهم، وأحيانًا تتمتم ببعض الكلمات غير المفهومة، وكانت هالة تستمع إليها باهتمام حتى وصلت إلى باب الغرفة، وفتحتها ودخلت، وما إن رأت نفيسة الممَرضةَ وبصحبتها هالة حتى ظلت تُحدِّق إلى وجه هالة لحظات، وتنظر في عينيها مباشرة، وارتسمت على وجهها علامات الذهول، وفجأة انحنت نفيسة عند قدمي الدكتورة هالة، وهي تُردِّد: مولاتي إيزيس، مولاتي إيزيس.

أُصيبت هالة والممرضة بالذهول لحظة، حتى قامت الممرضة إلهام بالإمساك بنفيسة وإبعادها عن قدمي هالة، وبرفق قامت بمُرافقتها لتتمدَّد على سريرها وإعطائها حقنةً مُسكنةً، وظلَّت نفيسة تُردِّد: مولاتي إيزيس،

مولاتي إيزيس حتى سرى مفعول المهدئ في جسدها، وهدأت تمامًا، وعادت تنظر مرة أخرى إلى عيني الدكتورة هالة التي أجمتها المفاجأة، فلم تنطق بحرفٍ واحدٍ، بل ظلَّت تنظر إلى نفيسة بشفقةٍ وهي لا تقوى على رفع عينيها عنها، كأن شيئًا يدفعها دفعًا لذلك، بل بدأت تسمع صوتًا يُشبه صوت نفيسة يهمس في أذنها كأنها ترسل إليها رسالةً من كلمة واحدة وهي: أنقذيني.

وظَلَّ الصوت يهمس في أذن الدكتورة هالة، وتتصاعد نبرته شيئًا فشيئًا حتى تحوَّل إلى ما يُشبه الصراخ؛ مما دفع هالة إلى وَضْع يدها على أذنها عَلَّها تمنع هذا الصوت من الولوج إلى عقلها، ولم يُخرجها من هذه الحالة إلا صوت الممرضة التي هبَّت إليها، وأمسكت بها وهي تقول:

– سلامتك يا دكتورة.. دكتورة هالة مالك .. دكتورة هالة .. دكتورة هالة!

فاستعادت هالة وعيها، وانقطع الصوت من أُذنها، وتلفَّتت حولها في الحجرة باستغراب شديد، فوقع بصرُها على نفيسة التي كانت ما تزال تنظر إليها وتُركِّز عينيها عليها، ونظرت للممرضة وقالت:

– أنا كويسة مافيش حاجة.. أنا كويسة ..

• لو تعبانة يا دكتورة ممكن نأجل الجلسة ليوم تاني.

– لا أنا كويسة، لو سمحتي سيبيني معاها شويه.

• طب تحبي أجيبلك لمون ولا حاجة يا دكتورة؟

- لا أنا كويسة مافيش حاجة.. لو سمحتي سيبيني معاها شويه.

• حاضر يا دكتورة.. حضرتك فيه جرس على الكومدينو جنب السرير لو عوزتيني اضغطي عليه أنا في حجرة الممرضات آجي لحضرتك على طول.

- طيب .. اتفضلي واقفلي الباب وراكي.

خرجت الممرضة، وأغلقت باب الحجرة، فسحبت هالة المقعد الوحيد الموجود بالغرفة ووضعته بجانب سرير نفيسة، ونظرت هالة إلى نفيسة التي كانت في حالة شديدة من الهدوء بفعل حقنة المُسكِّن، إلا أن ذلك لم يمنعها من النظر إلى عيني الدكتورة هالة بكل تركيز، التي بادرتها بالسؤال:

- انتي ليه بتبصيلي كده؟

أجابتها نفيسة وهي ما زالت تنظر في عينيها مباشرة بنظرةٍ هادئةٍ:

- لأنك تشبيهيلها كتير.

فقرَّبت هالة ما بين حاجبيها باستغراب:

- أشبه لمين؟

تنهدت نفيسة وهي تجيب:

- تشبهي أختي.

سألتها هالة في مودَّة:

- كنتي بتحبي أختك؟

رفعت نفيسة عينيها من عيني هالة ونظرت جانبًا، وزفرت بهدوء:

– مين مايحبش أخته.. الأخت هي الونس للروح، هي الضلة في عز الشمس.

سألتها هالة في استغراب:

– حتى بعد اللي عملته؟

ظهر الغضب على وجه نفيسة، ونظرت إلى هالة بنظرةٍ حادة:

– هو إيه اللي عملته؟

حدَّقت هالة في عيني نفيسة مباشرةً وهي تقول:

– انتي مش شوفتي جوزك بيخونك معاها؟

فأطلقت نفيسة ضحكة عالية جدًّا، وبدت عليها العظمة، فرفعت رأسها إلى أعلى، وتحركت من فوق سريرها، وبدأت في الدوران حول الدكتورة هالة بخطوات بطيئة وقالت:

– مين يجرؤ أن يخون سيدة الحياة، وسيدة الكون، سيدة عالم الباطن السماوي، هذا القلب النقي المُبرَّأ من الآثام، كيف يجرؤ أحد على خيانته؟

اعتدلت هالة في جلستها، وأدارت رأسها لتواجه نفيسة وقالت:

– أوراق المصحة بتقول إنك دخلتي المصحة نتيجة صدمة عصبية علشان شفتي جوزك بيخونك مع أختك.

أجابتها نفيسة بسرعةٍ بصوتٍ حادٍ وعالٍ:

– أوراق مزيفة.. عالم كله مزيف مصنوع علشان الكائنات الأرضية من الفانين يعيشوا فيه.. أنما أنا عايشة في الواقع، في الحقيقة، في مملكة الخلود ولقيت نفسي وروحي الحقيقية لقيت النور الحق.. لقيت روح الملكة نفتيس جوه الجسد الفاني بتاع نفيسة.. الأجساد ما هي إلا وعاء بتسكنه الروح لفترة ومجرد ما ينكسر الروح بتشوف وعاء غيره.

نظرت إليها هالة نظرة تعجُّب قائلة:

– تقصدي إنك نفتيس الملكة الفرعونية؟

فأجابت نفيسة دون تردُّد:

– عندك شك في ده؟

قامت هالة من فوق المقعد، ووقفت أمام نفيسة مباشرةً، وقالت:

– وليه ركعتي قدامي وقلتي إني الملكة إيزيس؟

أحنت نفيسة رأسها قليلًا وأجابت:

– لأنك انتي أختي الملكة إيزيس زوجة وأخت الملك أوزوريس ..انتي الوعاء اللي بيحتويني، بس انتي ناقصك تقابلي الملك أوزوريس علشان يخرجك من الزيف للحقيقة.. من الظلام للنور.. علشان تاخدي مكانك وراه لأننا بنكمل بعض.

تساءلت هالة في دهشة:

– بنكمل بعض إزاي؟

فأجابت نفيسة:

– أنا ملكة الباطن وانتي ملكة الظاهر.. أنا النبض وانتي الإحساس، أنا القلب وانتي الروح، أوزوريس،محتاجنا إحنا الاتنين.

واتسعت عيناها وهي تُردِّد:

– إحنا الاتنين.. إحنا الاتنين .. إحنا الاتنين.

وضعت هالة يديها برفقٍ على كتفي نفيسة قائلةً:

– طيب اهدي، اهدي، ممكن تكلميني عن شغلك في هيئة الآثار؟

استدارت نفيسة عائدة إلى السرير، ويبدو عليها الإرهاق:

– لا انا تعبت وهنام .. اتفضلي اخرجي مش عاوزة حد معايا.. اتفضلي اخرجي.

أجابت هالة وهي تقترب منها:

– طيب خلاص اهدي.. أنا هخرج وهابقي أجيلك في وقت تاني نكمل كلامنا.

تمددت نفيسة على السرير وهي تقول:

– اتفضلي اخرجي.. مش عاوزة حد معايا؟

اقتربت هالة من نفيسة جدًّا وهي تنظر إليها مليًّا، وقد أغمضت عينيها، ثم همَّت بالانصراف، إلا أن نفيسة فتحت عينيها فجأة، وأمسكت يدها، ونظرت إليها بنظرة كلها استعطاف وذل، وعيناها تكادان تبكيان، فنظرت هالة إلى عينيها مباشرة دون أن تنطق بكلمة واحدة، وعاد صوت نفيسة مرةً أخرى يهمس في أذن هالة، ولكن هذه المرة بنبرة يُغلفها اليأس والبكاء:

– أنقذيني.. أنقذيني.

وتركت نفيسة يد هالة، وأسلمت عينيها للنوم على سريرها، وخرجت هالة من الغرفة، وقد زادتها تلك الجلسة حيرة ودهشة، واتَّجهت مباشرة إلى الأرشيف للاطلاع مرة أخرى على ملف نفيسة؛ علَّها تجد شيئًا يساعدها على تشخيص الحالة، وفهم حقيقة ما يحدث.

دخلت هالة إلى حجرة الأرشيف، ورحَّب بها الأستاذ مصلح موظف الأرشيف كالمعتاد، وطلبت منه ملف نفيسة، وبدأت في إعادة قرأته مرة أخرى، والتدقيق في كل محتويات الملف، ولفت نظرها أن نفيسة كانت تُعالَج من صدمة عصبية نتيجة رؤيتها لأختها وزوجها في فراش الزوجية، ودخلت المصحة، وكان الطبيب المشرف على حالتها هو الدكتور أيمن الألفي، وكانت حالتها في تحسُّن مستمر حتى قاربت على الشفاء، ثم حدثت انتكاسة مفاجئة لها، وبدأ ظهور أعراض الهلاوس وجنون العظمة عليها، وتم تبديل الطبيب المعالج من الدكتور أيمن الألفي إلى الدكتور منتصر بنفسه، إلا أن حالتها من وقتها لا يطرأ عليها أي تحسُّن.

وكان لا بد للدكتورة هالة أن تسأل الدكتور أيمن الألفي عن حالة نفيسة وتاريخها المرضى للوقوف على أسباب الانتكاسة إلا أنها علمت من مصلح أن الدكتور أيمن قد قدَّم استقالته من المصحة اعتراضًا على سحب الدكتور منتصر إشرافه على حالة نفيسة، فاتخذت قرارًا بأن تسأل الدكتور منتصرًا عن حالة نفيسة.

صعدت هالة إلى حجرة الدكتور منتصر، فلم تجده بالحجرة، إلا أنها قابلت إلهام الممرضة التي سألتها: أتريد أي شيء؟ فلمع في ذهن هالة أن تسألها عن الدكتور أيمن الألفي فسألتها عنه، وعن مكان المصحة التي يعمل بها حاليًّا، فأجابتها إلهام: إنها لا تعرف اسم المصحة التي يعمل بها، ولكن تعلم عنوان عيادته الخاصة، فقد سبق لها العمل معه في العيادة فترة، وأخبرتها بعنوان العيادة في منطقة المهندسين ومواعيد العمل بها، وشكرتها الدكتورة هالة، وانصرفت إلهام إلى عملها، وعادت هالة إلى حجرة الأطباء، ولكنها كانت قد اتخذت قرارًا بالذهاب إلى الدكتور أيمن في عيادته مساء لسؤاله عن حالة نفيسة.

وفي المساء ذهبت هالة إلى عيادة الدكتور أيمن، وطلبت من الممرضة أن تبلغه بأن الدكتورة هالة محمود من مصحة الدكتور منتصر للأمراض النفسية ترغب في مقابلته لأمر مهم، وبالفعل أبلغت الممرضة الدكتور أيمن بقدوم الدكتورة هالة لمقابلته، الذي وافق وطلب من الممرضة إدخالها فورًا.

وبعد أن قامت هالة بتعريف نفسها الدكتور أيمن، وأبلغته بأنها تريد استشارته في أمرٍ يخصُّ حالةً كان يشرف عليها في مصحة الدكتور منتصر، وحينما ذكرت أمامه اسم نفيسة السيد مرسي بدت على وجهه فورًا علاماتُ الغضب والضيق؛ مما أصاب الدكتورة هالة بالدهشة، ودعاها ذلك إلى أن تسأله عن سبب ضيقه الشديد بمجرد ذِكْرِ اسم نفيسة.

– يا ترى إيه يا دكتور اللي خلى حضرتك تتضايق أوي كده أول ما ذكرت اسم نفيسة؟

أجابها الدكتور أيمن وقد ازداد الضيق على وجهه:

– طبعًا لازم أتضايق.. الحالة دي تحديدًا كانت السبب إني أسيب المصحة عند الدكتور منتصر رغم أنه أستاذي.

عاودت هالة التساؤل في دهشة:

– أنا اللي أعرفه إن حضرتك سيبت المستشفى بعد ما قدمت استقالتك لأن الدكتور منتصر سحب منك الإشراف على الحالة وقرر يشرف عليها بنفسه.

دقَّ الدكتور أيمن بيديه على المكتب وهو يقول:

– مش بس علشان كده.

تساءلت هالة في استغراب:

– هو فيه أسباب تانية يا دكتور قدمت استقالتك عشانها؟

فأجاب الدكتور أيمن:

– طبعًا فيه.. بس أعذريني يا دكتورة، أنا مش هاقدر أتكلم لأني بحترم الدكتور منتصر جدًّا وبعتبره أستاذي، وليه أفضال عليا.

رغم دهشة الدكتورة هالة من الإجابة فقد حاولت ألَّا تُبدي أي شعور على ملامحها، وأكملت حديثها قائلة:

– وإيه علاقة احترامك للدكتور منتصر بالموضوع يا دكتور.. الحالة أنا حاليًّا بشرف على علاجها، وأعتقد إن واجب الزمالة والمهنية إن حضرتك تطلعني على التاريخ المرضى للحالة بصفة حضرتك كنت مشرف على علاجها.

ظهر التوتر على ملامح الدكتور أيمن وهو يجيب:

– أرجوكي يا دكتورة ماتحرجنيش أكتر من كده، وعلى العموم كلامي مش هايفيدك بحاجة.

شعرت هالة بنفاد صبرها، ولكنها كتمت ذلك الشعور وهي تقول:

– أعتقد يا دكتور إني أنا اللي احدد إذا كان هايفيدني ولا لا. على العموم أنا مش هاضغط على حضرتك أكتر من كده.

وهمَّت هالة بالوقوف استعدادًا للانصراف وهي تشعر بخيبة الأمل، إلا لأن الدكتور أيمن قال لها:

– كلامي مش هايفيدك لأن نفيسة اللي كنت بعالجها غير نفيسة اللي انتي بتعالجيها.

فنظرت إليه هالة وعلى وجهها علامات الاستغراب الشديد مما قاله:

– حضرتك تقصد إيه يا دكتور بالجملة دي؟

أجاب أيمن وهو يشعر باليأس:

– أقصد إن نفيسة كانت مريضة عادية بتعاني من صدمة عصبية نتيجة خيانة زوجها ليها مع أختها، وبدأت معاها فعلًا رحلة العلاج، وبدأت تتحسن، وقبل اكتمال شفائها بدأت ألاحظ إن فيه عقاقير معينة بتتكتب في روشتة العلاج بتاعها مش أنا اللي كاتبها وما تنفعش لحالتها خالص، فتوجهت للدكتور منتصر وقلتله على الموضوع ده فلقيته مش مدي الموضوع أهمية كبيرة، ويوم بعد يوم بدأت حالة نفيسة تتدهور جدًّا وتُصاب بهلاوس سمعية وبصرية شديدة، فتوجهت تاني للدكتور منتصر وبلغته إن لازم يفتح تحقيق لمعرفة الشخص اللي بيديها العقاقير دي، إلا إني فوجئت بيه بيعنفني وإن الكلام ده مش ممكن يحصل في المصحة، واني بالكلام ده بسيء لسمعة المصحة وسمعته هو شخصيًّا، وإن الحكاية كلها إني بحاول أبرر فشلي في علاج الحالة وحدوث انتكاسة للحالة، ويقولي إنه سحب مني الإشراف على الحالة وهايشرف عليها بنفسه.

تساءلت هالة في تحفُّز:

– وانت كان رد فعلك إيه؟

فأجابها أيمن:

– الدكتور منتصر أستاذي ووقف جنبي كتير فبصراحة اخترت إني أقدم استقالتي وخلاص.

ظهر على وجه هالة الاهتمام الشديد وقالت:

– الكلام اللي بتقوله ده خطير جدًّا يا دكتور.

فتحدث أيمن بنبرة تحمل بعض الرجاء:

– أرجوكي يا دكتورة أنا قلت لحضرتك اللي حصل بدافع ضميري المهني مش أكتر، وأرجو إن حضرتك تقدري حساسية موقفي ومنزلة الدكتور منتصر عندي.. ويا ريت تعتبري إني ما قلتش لحضرتك حاجة ولا تجيبي سيرة إنك قابلتيني للدكتور منتصر.

أجابت هالة سريعًا:

– بصراحة يا دكتور مش عارفة أقول لحضرتك إيه بس هاحاول فعلًا، اعتبر إننا ما اتقابلناش، بس ده ما يمنعش إني لو حبيت أسأل حضرتك على أي حاجة بخصوص الحالة فأنا مضطرة أرجع لحضرتك تاني.

وقف الدكتور أيمن مادًّا يده بالسلام على الدكتورة هالة قائلًا:

– وأنا معنديش أي مانع بشرط إني أفضل بره الموضوع.

وقفت هالة وسلمت على الدكتور أيمن وابتسمت ابتسامة خفيفة:

– يبقى اتفقنا.. أسيب حضرتك بقى للمرضى بتوعك.

هَزَّ الدكتور أيمن رأسه موافقًا:

– مع السلامة يا دكتورة وربنا يوفقك.

انصرفت هالة من عيادة الدكتور أيمن وقد زاد حديثه من حيرتها وتساؤلاتها حول حالة نفيسة، فمن صاحب المصلحة في إعطاء نفيسة عقاقير تؤدي إلى تدهور حالتها؟ ولماذا رفض الدكتور منتصر إجراء تحقيق في تلك الواقعة؟ وهل من الممكن أن يكون الدكتور أيمن يُبرر فشله في علاج الحالة بالفعل وحدوث الانتكاسة لحالة نفيسة أم أن في الأمر شيئًا غامضًا؟

ظلت تلك الأسئلة تدور في عقل هالة في أثناء قيادتها لسيارتها في طريق عودتها إلى منزلها، وما إن وصلت إلى منزلها حتى وجدت والدها في انتظارها بعد عودته من عيادته الخاصة، الذي استقبلها بالترحاب المعتاد، فجلست بجواره وعقلها مشغول بحالة نفيسة، إلا أن والدها قطع تفكيرها بسؤالها:

- أخبار دكتورتنا الجميلة إيه؟

أجابته وهي تحاول استعادة تركيزها:

- الحمد لله يا بابا.

وجَّه إليها والدها سؤالًا مبتسمًا:

- ماسألتنيش يعني عمتك هاتيجي إمتى من أمريكا؟ هي ماوحشتكيش ولا إيه؟

أجابت هالة وهي تحاول أن تُظهر الاهتمام:

- إزاي بقى وحشتني جدًّا.. بس ممكن تكون دماغي مشغولة شويه بشوية حاجات في شغلي في المصحة... هي عمتي هاتيجي إمتى صحيح؟

ردَّ والدها سريعًا:

– هاتيجي يوم السبت الجاي، يعني بعد أربع أيام، هي بتقول إنكم كان المفروض تيجوا مع بعض بس انتي اللي استعجلتي.

أجابته هالة:

– فعلًا إحنا كان المفروض نيجي مصر سوا، بس أنا لقيت حجز للقاهرة لفرد واحد فاتفقنا إني أسبقها وهي تحصلني.

نظر إليها والدها بحنان بالغ وهو يقول:

– أهي يا ستي هاتيجي كمان أربع أيام دي حتى فتحت معايا موضوع بخصوصك انتي والباشمهندس طارق ابنها.

تساءلت هالة في دهشة:

– موضوع بخصوصي أنا وطارق.. موضوع إيه؟

ظهرت على الأب علامات الفرح وهو يقول:

– عمتك يا ستي طلبت إيدك لطارق ابنها.

ظهرت الدهشة على وجه هالة جليًّا وهي تقول:

– طلبت إيدي.. يا بابا طارق ده أخويا وأنا مافيش أي مشاعر من ناحيته أكتر من مشاعر الإخوة.

فأجابها والدها:

– حبيبتي أنا بقولك اللي عمتك قالتهولي، إنما انتي عارفة إن بالنسبالي دي حياتك وقرارك وانتي حرة فيه رغم إني شايف طارق شاب ممتاز ومهندس وهايصونك وأديكوا يا ستي عارفين كل حاجة عن بعض.

ردَّت هالة وهي تحاول أن تُغير دفة الحديث:

– على العموم يا بابا ده موضوع مش وقته دلوقتي .. لما عمتي تيجي أبقى أتكلم معاها فيه.. حضرتك اتعشيت ولا لسه؟

أجاب والدها مبتسمًا:

– هاتعشي من غيرك برضه؟

فقالت هالة:

– يبقي نتعشى سوا.

ثم أكملت كمن تذكَّر شيئًا يرغب في السؤال عنه:

– آه صحيح يا بابا، هو حضرتك تعرف الدكتور منتصر من زمان؟

ضمَّ والدها حاجبيه، وأخذ نفسًا عميقًا كمن يتذكَّر شيئًا مَرَّت عليه فترة طويلة جدًّا، وارتسمت على وجهه ابتسامة عريضة وقال:

– ياه يا هالة دي عِشرة يجي أربعين سنة، الدكتور منتصر كان زميلي في المدرسة الثانوية..أيام الشقاوة بقى، وحتى لما دخلنا الجامعة واتخرجنا وكل

واحد أخد طريقه ما انقطعتش صداقتنا لحظة.. ده حتى هو اللي شاهد على عقد زواجي من والدتك الله يرحمها.. وكان بيشيلك وانتي لسه في اللفة.. يمكن علشان ظروف الحياة مابقناش بنتقابل كتير بس مش عاوز أقولك هو فرح أد إيه لما عرف إنك جيتي من أمريكا وهاتستقري في مصر وهو اللي صمم إنك تكوني معاه في المصحة بتاعته.. والدكتور منتصر زي مانتي عارفة من أكبر أطباء الصحة النفسية في مصر .. هانفضل نتكلم كده كتير ولا نتعشى أنا عصافير بطني زقزقت.

ضحكت هالة في مودةٍ بالغة قائلة:

– يا خبر، ثواني يا بابا أشوف دادة أم هاني ونجهز العشا فورًا ونأكل العصافير يا حبيبي.

وبعد تناول العشاء صعدت هالة إلى غرفتها ورغم أنها حاولت إخفاء تساؤلاتها عن موقف الدكتور منتصر من حالة نفيسة، وحديث الدكتور أيمن عنها، وذلك عن والدها، فقد ظلت تفكر كثيرًا في الأمر؛ مما دعاها إلى البحث في كُتبها عن كتاب يتحدث عن نفتيس الملكة الفرعونية وعلاقتها بإيزيس وأوزوريس، ووجدت ضالَّتها في كتاب عن الحضارة المصرية القديمة، الذي ذكر أن نفتيس أخت الملك أوزوريس، وأنها ساعدت إيزيس في لم أجزاء أوزوريس بعد تقطيعها بمعرفة ست إلى أربعة عشر جزءًا، وأن رسوم كتاب الموتى كثيرًا ما تقف فيها نفتيس بجوار أوزوريس وإيزيس، وهنا تذكرت كتاب الموتى الذي وضعتُه في درج التسريحة وأغلقت عليه الدرج بالمفتاح، فتوجَّهت إلى درج التسريحة، وفتحت الدرج، وأخرجت الكتاب، وبدأت في

فتح الكتاب والبحث عن الرسوم التي تجمع نفتيس وأوزوريس وإيزيس، وما إن بدأت في تقليب صفحات الكتاب حتى انطلق صوت يدوي في أذنها قائلًا:

(لقد حان الوقت يا إيزيس، لقد حان الوقت.. لقد حان الوقت).

وضعت هالة يديها على أذنيها من شدة الصوت الذي لم يتوقف لحظة حتى أُغشيَ عليها من شدة الصوت، ولم تسترد وعيها إلا في الصباح، وحينما أفاقت وجدت نفسها على الأرض وبجوارها كتاب الموتى مفتوحًا، فنظرت إليه مليًّا وأغلقته وأعادته مرة أخرى إلى درج التسريحة، وأغلقت الدرج بالمفتاح، وجلست قليلًا حتى استردت كامل وعيها، وبدأت في ارتداء ملابسها، حتى سمعت صوت طرقات على الباب، وصوت الدادة أم هاني تخبرها بتجهيز طعام الإفطار، إلا إنها أجابتها أنها لا تريد الإفطار، وستذهب إلى عملها مباشرة، فاستأذنت الدادة بالدخول وسمحت لها هالة، وما إن دخلت أم هاني ونظرت إلى وجه هالة الذي يبدو عليه الشحوب والإرهاق حتى قالت لها:

– مالك يا هالة يا بنتي؟ انتي من ساعة ما وصلتي وانتي متغيرة خالص.

أجابت هالة وهي تحاول استرداد قوتها:

– مافيش حاجة يا دادة شوية إرهاق بس من الشغل والسفر.

فقالت لها أم هاني مبتسمة:

– الشغل والسفر برضه ولا فيه حاجة تانية شاغلة دماغك؟

أجابت هالة في استغراب:

– حاجة تانية زي إيه بس يا دادة؟

فابتسمت أم هاني ابتسامة عريضة وهزَّت رأسها وهي تقول:

– حاجة كده من اللي بتشغل القلب والعقل.

أجابت هالة في استنكار:

– لا خالص يا دادة .. الموضوع ده مش بفكر فيه خالص دلوقتي، من بعد التجربة اللي مريت بيها وأنا كل تركيزي في شغلي وبس كفاية اللي شفته.

فظهرت على أم هاني علامات الشفقة على هالة وقالت:

– وانتي ذنبك إيه يابنتي انه طلع مش كويس وقليل الأصل؟ بقى فيه حد يبقى معاه القمر ده ويبص لواحدة صاحبتها؟ وهي كمان قليلة الأصل، دانتي كنتي معتبراها زي أختك واكتر.

أجابت هالة في ضيق لتُنهي الحديث في الأمر.

– لو سمحتي يا دادة الموضوع ده اتقفل بالنسبالي تمامًا، وأنا دلوقتي كل تفكيري في شغلي وبس.

لاحظت الدادة علامات الضيق على وجه هالة فقالت بمودةٍ بالغة:

– على راحتك يا بنتي، انتي عارفة أنا كل اللي يهمني سعادتك، وبعتبر نفسي مكان والدتك الله يرحمها، دي ماتت وانتي عندك عشر سنين، وانا بعتبرك بنتي بالظبط.

فقالت لها هالة في مودة وابتسام:

– وانتي كمان يا دادة عارفة انا بحبك أد إيه.. وما تعطلنيش بقى علشان ألحق شغلي ولا عاوزاهم يرفدوني؟

فرفعت أم هاني يديها بالدعاء وقالت:

– ربنا يحفظك بإذن الله ويوفقك للخير ويطمني عليكي دايمًا يا بنتي يا رب.

خرجت أم هاني الدادة من الغرفة، ولكن يبدو أن حديثها عن والدة هالة قد أيقظ الشجون بداخلها؛ فقد شردت هالة بعيدًا، وتذكَّرت والدتها، وظلت شاردة لحظات حتى رأت نفسها وقد أصبحت طفلة صغيرة لم تتجاوز العاشرة من عمرها ترتدي فستانًا قصيرًا وتتدلى ضفائر شعرها السوداء الناعمة خلف ظهرها، وهي تلعب في حديقة خضراء تُظلها سماء زرقاء صافية، وبعيدًا عنها قليلًا تقف والدتها تُراقبها في حبٍّ وابتسام، ثم فردت والدتها ذراعيها لتحتضنها، فابتهجت الطفلة، وانطلقت تعدو لتلقي نفسها في أحضان والدتها، ولكن ما إن وصلت إليها حتى تلاشت والدتها كدخان وسراب، فظلت الطفلة تُلوِّح بيديها في الفضاء غاضبة من والدتها وتخليها عنها، وترقرقت من عينيها دموع كانت كفيلة بإعادة هالة إلى الواقع، وأن ما تراه هو مجرد خيال نسجه عقلها في أثناء شرودها.

قطعت هالة الطريق من منزلها إلى المصحة وهي تفكر في الصوت الذي سمعته أمس، وعن أي لقاء يتحدث؟ وهل ما حدث حقيقة أم مجرد تهيُّؤات تحدث لها نتيجة الإرهاق واستغراقها في العمل ودراسة حالة نفيسة،

خصوصًا أن الصوت قد ناداها باسم إيزيس، وهو الاسم نفسه الذي نادتها به نفيسة حين زارتها في غرفتها بالمصحة.

دارت كل تلك الأفكار والتساؤلات في عقلها حتى وصلت إلى المصحة التي ما إن وصلتها حتى صعدت مباشرة إلى مكتب الدكتور منتصر الذي رحَّب بها كالمعتاد وسألها عن أخبار عملها، وعن حالة نفيسة السيد مرسي التي اختارتها لتبدأ معها رحلة العلاج، فأجابته بأنها أتت إليه بسبب تلك الحالة ورغبتها في طرح بعض الأسئلة بصفته مسئولًا عن الإشراف على علاج تلك الحالة خلفًا للدكتور أيمن الألفي، فأجابها قائلًا:

– خير يا دكتورة، عاوزة تسألي عن إيه؟

فأجابته هالة:

– بصراحة يا دكتور، لفت نظري إن الحالة كانت قربت من الشفاء لغاية لما بدأت تتناول عقاقير وأدوية لا تصلح لحالتها تمامًا، وأعتقد إن العقاقير دي هي السبب في حدوث الانتكاسة اللي حصلتلها، وأنا استغربت جدًّا إزاي الدكتور أيمن اللي كان مشرف على الحالة يكتب عقاقير غير مناسبة للحالة خصوصًا وهي قربت من الشفاء، فإيه السبب اللي يخليه يغير خطة العلاج والأدوية.

ظهرت على وجه الدكتور منتصر علامات الاستغراب وهو يقول:

– بصراحة يا دكتورة هالة أنا كمان استغربت جدًّا، لما لقيت ده حصل، ولما واجهت الدكتور أيمن الألفي بالكلام ده أنكر معرفته تمامًا بالموضوع بتاع العقاقير ده، وطلب مني فتح تحقيق في الموضوع وأنا رفضت.

فقالت هالة متسائلة:

– وحضرتك رفضت ليه فتح تحقيق؟

أخذ الدكتور منتصر نفسًا عميقًا وأخرجه بهدوء وقال:

– لأسباب كتير جدًّا، منها مثلًا زي مانتي عارفة إن دي سمعة أكبر مصحة نفسية في مصر، وحاجة زي دي تسيء جدًّا لسمعة المصحة وسمعتي أنا شخصيًّا.

قالت هالة في اهتمام:

– أعتقد يا دكتور إن حياة مريض أهم بكتير من ده خصوصًا إن أي تحقيق هايثبت المتورط مش أكتر ومش هايسيء لسمعة المستشفى ولا حاجة، وكان ممكن حضرتك تفتح تحقيق داخلي في الموضوع بعيد عن الشوشرة.

ردَّ الدكتور منتصر بكل ثقة:

– ومين قال إني ماعملتش تحقيق داخلي، بس الدكتور أيمن رفض إنه يتحقق معاه جوه المستشفى، وطلب تحقيق من النيابة.

ازداد الاهتمام على وجه هالة وهي تسأل:

– ويا ترى التحقيق الداخلي أسفر عن إيه؟

أجاب منتصر في خيبة أملٍ:

– للأسف التحقيق الداخلي أثبت تورط الدكتور أيمن، وإن الأدوية اللي في الروشتة كلها بخط إيده، وإنه هو السبب الرئيسي في تدهور حالة نفيسة،

وحتى الممرضة إلهام اللي كانت مع الدكتور أيمن بتشرف على تمريض الحالة أقرَّت في التحقيق إن العقاقير دي الدكتور أيمن كان بيصر إنه يديها للحالة بنفسه، وكان بيرفض إن التمريض هو اللي يديها للحالة، ولما واجهته بنتيجة التحقيق ثار جدًّا وطلب تحقيق من النيابة، وأنا حفاظًا على سمعة المصحة نصحته أن يقدم استقالته وأنا أشرف على الحالة بنفسي.

ردَّت هالة في استغراب وهي تسأل:

- والدكتور أيمن وافق؟

فأجابها الدكتور منتصر:

- أيمن من تلامذتي، وأنا حفاظًا على مستقبله قبلت الاستقالة واحتفظت بنتيجة التحقيق عندي في المكتب، وحتى مارضيتش أحطها في ملف الحالة، انتي عارفة تحقيق زي ده لو وصل النقابة الدكتور أيمن ممكن يتوقف عن العمل.

ردت هالة في تساؤل:

- ويا ترى يا دكتور منتصر فيه حالات تانية كان بيشرف عليها الدكتور أيمن ظهرت عليها أي أعراض غريبة أو حصل لها انتكاسة زي نفيسة.

أجابها منتصر:

- لأ ماحصلش، إنما أنا أخدت كل الحالات اللي كان بيشرف عليها الدكتور أيمن وأشرفت على علاجها بنفسي تحسبًا لأي أعراض تظهر.

تساءلت هالة في تحفُّز:

– ويا ترى الحالات دي من ضمنها حالة النزيل اللي ملفه باللون الأحمر؟

أجاب منتصر في هدوء:

– إيه يا دكتورة دانتي تنفعي وكيل نيابة!

ثم ضحك ضحكة قصيرة قبل أن يكمل:

– على العموم لو قصدك ملف أشرف الحوتي.. لا ده حالة مختلفة جدًّا، أنا بشرف عليه من أول يوم دخل فيه المصحة.

أجابت هالة في شغفٍ وفضولٍ:

– مختلفة إزاي يعني يا دكتور؟

أجاب الدكتور منتصر وهو يحاول إنهاء النقاش:

– لا ده موضوع طويل أوي يا دكتورة.. خلينا في المهم، ها هاتعملي إيه في حالة نفيسة؟

شعرت هالة برغبة الدكتور منتصر في تغيير دفة الحديث، فأجابت في هدوء:

–محتاجة أكتر من جلسة معاها علشان أقدر أحدد طريقة العلاج.

بدأ منتصر في التقليب في بعض الأوراق أمامه وقال:

– طيب يا دكتورة وأنا في انتظار التقرير وخطة العلاج.

شعرت هالة برغبة الدكتور منتصر في إنهاء الحديث فقامت واقفة قائلة:

– بإذن الله يا دكتور.. اسمحلي أستأذن أنا لأني عاوزة أعمل جلسة مع نفيسة تاني النهارده.

رفع منتصر عينيه عن الأوراق ونظر إلى هالة وهو يقول:

– آه طبعًا، اتفضلي يا دكتورة.

خرجت هالة من مكتب الدكتور منتصر وهي في حيرةٍ من أمرها ما بين حديث الدكتور أيمن بشأن عدم موافقة الدكتور منتصر على فتح تحقيق في واقعة العقاقير الخاطئة التي تناولتها نفيسة، وما بين حديث الدكتور منتصر أن الدكتور أيمن هو من أعطى نفيسة تلك العقاقير، وظلت تلك الحيرة تدور داخلها حتى وصلت إلى حجرة الممرضات، واستدعت الممرضة إلهام، وطلبت منها مرافقتها إلى حجرة نفيسة، وفي الطريق بدأت تسألها عن أسباب تركها العملَ في عيادة الدكتور أيمن، فقد سبق أن أشارت إلهام إلى أنها عملت مع الدكتور أيمن في عيادته الخاصة، إلا أن إلهام تهرَّبت من السؤال كمن يُخفي شيئًا وراءه، واكتفت بأن أجابتها بجملة واحدة:

– ما استريحتش.

ورغم إصرار هالة على أن تفسِّر إلهام تلك الجملة فإنها لم تفسرها، واكتفت بأن هناك أسبابًا خاصة جعلتها لم تستمتع بالعمل بالعيادة، وعند وصولهما إلى غرفة نفيسة، وبمجرد فتح الباب، وجدتا نفيسة تنتظرهما عند الباب، ويبدو

على ملامحها ووقفتها العظمة، وفي عينيها نظرات حادة، كما لو أنها كانت تتوقع قدومهما وتنتظرهما، وبمجرد أن رأتهما قالت:

– اتفضلي انتي يا دكتورة أنا أصلًا عاوزاكي بس تدخلي لوحدك إلهام الممرضة لأ.

ورغم حالة الاستغراب والدهشة التي اعترت هالة وإلهام، فإن هالة طلبت من إلهام الانصراف، التي حاولت إقناع الدكتورة هالة بالبقاء معها، إلا أن هالة طلبت منها الذهاب على أن تستدعيها إذا احتاج الأمر.

وبمجرد ذهاب إلهام إلى غرفة الممرضات، طلبت نفيسة من هالة الجلوس بجوارها، وسحبت لها المقعد الموجود بالغرفة، ووضعته بجانب السرير، واسترخت نفيسة تمامًا على السرير، ونظرت إلى هالة بعينيها، وبها النظرة الحادة نفسها لم تتغير، وقالت لها:

– كنتي جاية عاوزة تسأليني عن حاجات، اتفضلي اسألي، أنا جاهزة.

أجابت هالة في دهشة شديدة:

– انتي عرفتي منين إني جايلك؟

ردت نفيسة بكل هدوء وبالنظرة الحادة نفسها:

– كان لازم تيجي لأنه مش بإرادتك.

ازدادت الدهشة على ملامح هالة وردت في استنكار:

– أمال بإرادة مين؟

أشاحت نفيسة بوجهها وهي تقول:

– هاتعرفي لما تقابليه.. المعاد قرب ما تستعجليش.

ردت هالة في عصبية وهي تسألها:

– أقابل مين؟

أجابتها نفيسة في هدوء بالغ، كأن الأمر حتمي الحدوث:

– هاتقابلي اللي عاوزك تقابليه ولازم تقابليه.

ارتفع صوت هالة وهي تقول:

– أيوه اللي هو مين يعني؟

فاعتدلت نفيسة في جلستها؛ مما دعا هالة للتراجُع بالمقعد للخلف، ونظرت نفيسة في عيني هالة مباشرة بنظرتها الحادة وقالت:

– تقابلين صاحب الأسماء العديدة، من جعل منا كلابًا للصيد نصطاد التعاويذ من أجله للحصول على سر الأبدية ستقابلينه حقيقة لا وهمًا، كل ما حولك هو مصنوع من الوهم والخيال، هو فقط الحقيقة، هو فقط ولا أحد غيره، هو فقط.

انتفضت هالة من فوق المقعد، واقتربت من نفيسة جدًّا، وقالت في توتر شديد:

– انتي تعرفي إيه عن كتاب الموتى الفرعوني؟ التعاويذ دي موجودة فيه، أنا حافظاها.

اقتربت نفيسة من هالة وحدقت إلى عينيها مباشرة بكل تحدٍّ:

– هو فقط من يعرف، نحن ما علينا إلا اتباعه، هو الحقيقة، هو السيد ونحن العبيد، هو السيد ونحن العبيد، هو السيد ونحن العبيد، هو السيد ونحن العبيد.

وظلت نفيسة تردد الجملة الأخيرة دون توقُّف، وعبثًا حاولت هالة أن تُهدئ من روعها، إلا أنها فشلت في ذلك تمامًا؛ مما جعلها تستدعي الممرضة إلهام بضغط الجرس الموجود بالحجرة، التي حضرت مُسرعةً، وأعطت نفيسة حقنةً مهدئة جعلتها تغطُّ في نوم عميق، ولكنها قبل أن تُغمض عينيها مباشرة تلاقت عيناها بعيني الدكتورة هالة، ونظرت نفيسة إلى هالة بانكسار واستعطاف شديدين، بل لعل هالة لمحت في عيني نفيسة دمعة تحاول الهروب من عينيها، كأنها تستنجد بها، فأحست هالة بغُصةٍ وشفقةٍ في قلبها ناحية نفيسة، وبمجرد أن أغمضت عينيها نظرت إليها هالة مليًّا، ثم غادرت الحجرة إلى حجرة الأطباء، وطلبت من إلهام مرافقتها لسؤالها عن حالة نفيسة بصفتها كانت مسئولة التمريض عن الحالة مع الدكتور أيمن ثم الدكتور منتصر، فلا بد أنها تعلم الكثير عن الحالة وأسباب تدهورها إلى هذه الدرجة.

ولم تكن إلهام من تلك النوعية من النساء التي تتحدث باستفاضة أو تذكر تفاصيل كثيرة، بل كان يبدو عليها التحفُّظ في إعطاء المعلومات بوفرة، حتى بدا للدكتورة هالة لحظة أن إلهام كمن تُخفي شيئًا أو كمن يخاف من الوقوع في خطأ الإفصاح عن معلومة يرغب الدكتور منتصر في عدم البوح بها، فكل

ما قالته هو الموجود نصًّا في ملف نفيسة الطبي، كأنها مَن كَتَبَ هذا الملف، أو كأنها تحفظه عن ظهر قلبٍ، إلا أن الدكتورة هالة لم تستسلم للأمر، وباغَتَتْ إلهام بسؤال:

– انتي كنتي قلتي في التحقيق الداخلي في موضوع الأدوية الخاطئة اللي كانت بتاخدها نفيسة إن الدكتور أيمن كان بيديهالها بنفسه، رغم إنك المسئولة عن التمريض، وأكيد من واقع خبرتك كنتي عارفة إن الأدوية دي مش مناسبة للحالة.. ليه مابلغتيش الدكتور منتصر بالموضوع ده أول ما بدأ الدكتور أيمن يديها الأدوية دي وبدأت حالة نفيسة تتدهور؟

ارتبكت إلهام من سؤال هالة المفاجئ، وبدأت في فَرْكِ يديها بتوتر، وزاغت عيناها يمينًا ويسارًا وقالت:

– هو فيه إيه يا دكتورة؟ هو إحنا في تحقيق تاني ولا إيه؟ على العموم أنا قلت كل اللي أعرفه في التحقيق، حضرتك ممكن تطلبي من الدكتور منتصر تطلعي عليه، بعد إذنك أنا عندي شغل.

وخرجت إلهام من الحجرة سريعًا، وما إن خرجت حتى سمعت هالة أصوات ضجيج وجلبة بالغة في الطرقة خارج حجرة الأطباء، فخرجت لتستطلع الأمر، فوجدت حركةً غير عاديةٍ، فاستوقفت أحد الممرضين لتسأله عن سبب تلك الجلبة والضجيج، فأجابها أن المريض سيتالو في حالة هياج شديد، ولا بد من إبلاغ الدكتور منتصر فورًا. شعرت هالة بالفضول يأكل قلبها، وأرادت معرفة ما يحدث لعلها تظفر بأي معلومة عن هذا المريض

الغامض، صاحب الملف الأحمر، المدعو سيتالو، ولم تشعر بنفسها وهي تتحرك باتجاه غرفة الدكتور منتصر حتى دخلت الغرفة، ووجدت الجميع ينظر بذهول إلى شاشة المراقبة الموجودة في غرفة الدكتور منتصر، الذي تنقل له ما يدور في غرف بعض النزلاء عن طريق كاميرات المراقبة الموجودة في تلك الغرف، وبالطبع تم تركيب إحدى هذه الكاميرات في غرفة المريض سيتالو، فوجدت هالة الدكتور منتصر واثنين من الممرضين ينظرون إلى الشاشة، وقد تدلَّى فك الدكتور منتصر السفلي فاغرًا فاه، والممرضان كأن على رأسيهما الطير من فرط الذهول والدهشة، فتحركت ببطء، ولمحها الدكتور منتصر، ولكنه لم يُبدِ أي إشارة أو اعتراض، حتى وصلت في مواجهة الشاشة ورأت ما لا يخطر على بال أحد أبدًا.

فقد رأت المريض سيتالو وقد كَتَبَ اسمها بالكامل: هالة محمود العالم على الحائط بالدم، محاطًا ببعض الرموز الفرعونية على شكل دائرة يتوسطها الاسم، وبجانبها رسم عين حورس والدماء تسيل من رأسه وأنحاء متفرقةٍ من جسمه.

أُسقط في يد هالة، ولم تتمالك نفسها وهوت على مقعد قريب منها، وهي في حالة من الذهول، وسمعت الدكتور منتصر يطلب من التمريض إعطاء سيتالو حقنة مُخدرةً لحين النظر في الأمر وكيفية التصرف.

خرج الممرضان مسرعين لإعطاء سيتالو الحقنة، وجلس الدكتور منتصر على مقعده كأنه يسقط من فوق جبلٍ شاهقٍ وتعتري وجهه علاماتُ الدهشة والذهول وهو لا يصدق ما رأته عيناه، فكيف يعرف سيتالو الاسم الكامل

للدكتورة هالة وهو لم يخبره به أحد ولا يعرف بوجودها من الأساس؟ وما معنى تلك الدائرة من الرموز الفرعونية؟ ولماذا كتبها بدمائه ووصل إلى تلك الحالة من الهياج الشديد؟ ران صمت رهيب على الغرفة حتى بدأت هالة في استعادة رباطة جأشها، وتمالكت أعصابها، وقطعت هذا الصمت مُوجِّهة سؤالها إلى الدكتور منتصر:

– ممكن يا دكتور منتصر أعرف إيه اللي شفته ده؟ والمريض ده عرف اسمي منين؟ وليه كتبه بالدم كده؟ وإيه الرموز دي؟

فأجابها منتصر وهو ما زال في ذهول:

– أنا نفسي مش عارف إجابة أي سؤال من دول، وكل الأسئلة دي بتدور في ذهني ومش قادر ألاقي إجابة لأي سؤال فيهم.

فتوجَّهت هالة وجلست على المقعد الموجود أمام مكتب الدكتور منتصر وقالت:

– متهيألي من حقي أعرف كل شيء عن المريض ده، وأعتقد إن دلوقتي لازم أعرف خصوصًا بعد اللي شوفته وحضرتك كمان شفته.

فأجابها الدكتور منتصر وهو ما زال غير مصدقٍ لما يحدث:

– أكيد طبعًا من حقك خصوصًا بعد اللي حصل. وأنا هاقولك كل حاجة عنه، المريض ده يبقى الدكتور أشرف الحوتي أستاذ علم الاجتماع بكلية الآداب جامعة القاهرة، لكن الأهم إنه ليه أبحاث مهمه جدًّا عن علم

التخاطر، الدكتور أشرف أبحاثه وصلت لمراحل متقدمة جدًّا في التخاطر والربط بين التخاطر والاستبصار.

نظرت الدكتورة هالة باستغراب شديد للدكتور منتصر وهي تقول:

- إزاي قدر يربط بينهم؟

فأكمل منتصر حديثة قائلًا:

- زي مانتي عارفة يا دكتورة إن التخاطر فرع من فروع علم النفس الموازي، وعلماء علم النفس الموازي بيقولوا إنك عن طريق التخاطر تقدر تقرأ أفكار شخص وتقدر تحط في عقله الأفكار اللي انت عاوز توصلهاله، وده بيسموه التخاطر المستتر latent telepathy أما النوع التاني وهو معرفة أو استكشاف المستقبل و المعلومات عن الشخص قبل وقوعها فهو النوع المسمى التخاطر مسبوق المعرفة Precognitive telepathy أما الاستبصار فهو إنك تقدر تشوف الأحداث الغير منظورة وتتحكم فيها كمان، وممكن توجه رسايل للأشخاص جوه الأحداث دي، كل ده بره حدود المكان والزمان للأشخاص أو الأحداث، وأكيد انتي عارفة الواقعة بتاعة سيدنا عمر بن الخطاب بتاعة سارية الجبل.

فأجابت هالة سريعًا:

- آه طبعًا عارفاها، بس العلم ده فيه كتير من العلماء بيشككوا فيه وفي إنه علم حقيقي أو يخضع لقواعد العلم والتجربة.

أجابها الدكتور منتصر سريعًا، كمن أمسك بطرف خيط الحديث:

– التجربة، جينا بقى لسبب دخول الدكتور أشرف الحوتي للمستشفى.

بدا على وجه هالة الاستغراب والدهشة وهي تقول:

– مش فاهمة يعني إيه؟

فأجابها منتصر قائلًا:

– الدكتور أشرف كان عاوز يعمل تجربة عملية علشان يثبت صحة نظريته، وكان أفضل شخص يعمل معاة تجربة التخاطر والاستبصار هو ابنه أدهم أشرف الحوتي، مهندس اتصالات، بيشتغل في شركة ألمانية ليها فرع في مصر، الدكتور أشرف بعت ابنه أدهم بلدهم، قرية صغيرة في أقاصي الصعيد يقعد في بيت جده علشان التجربة، والبيت ده من بعد وفاة والد الدكتور أشرف ووالدته من أكتر من تلاتين سنة أصبح مهجور ماحدش بيعيش فيه، لأن الدكتور أشرف ابنهم الوحيد على طول مقيم في مصر يادوب كل كام سنة بيروح الدكتور أشرف وعيلته يقيموا فيه أسبوع ويشوفوا قرايبهم ويرجعوا مصر تاني. وزي عادة أهل القرى البيوت من النوع ده كان بينسجوا حواليها حكايات زي إنه بيت مسكون وإن فيه عفاريت.

ابتسمت الدكتورة هالة ابتسامة صغيرة وهي تقول:

– ده نتيجة الجهل طبعًا.

فأومأ الدكتور منتصر برأسه موافقًا، وأكمل قائلًا:

- فعلًا رغم إن اللي حصل كان غريب شوية.

فقالت الدكتورة هالة في تحفُّز:

- إيه اللي حصل؟

فأكمل الدكتور منتصر:

- في الميعاد المتفق عليه بين الدكتور أشرف وأدهم ابنه بدأت جلسة التخاطر والاستبصار، وبدأ الدكتور أشرف يكتب في ورقه الأفكار اللي بتتنقل بينه وبين أدهم ابنه، وكان حاطط كاميرا في البيت اللي فيه أدهم ابنه بتسجل كل الأحداث، وإزاي الأوامر والأفكار اللي بيكتبها بتتنقل لأدهم وبينفذها بالظبط، وفجأة بدأ جسم الدكتور أشرف يتنفض وهو عمل يزعق ويقول: النار يا أدهم النار، يا أدهم إبعد عن النار، اخرج فورًا.

اتسعت حدقتا عيني الدكتورة هالة في دهشة بالغة وهي تقول:

- نار..نار إيه؟

فأجاب الدكتور منتصر:

- بعد صراخ الدكتور أشرف بدقايق البيت اللي كان فيه أدهم ابنه مسكت فيه النار من كل جانب، والنار ولعت في البيت كله باللي فيه.

فوضعت هالة يدها على فمها وهي تشهق شهقة خافتة، وقالت:

- وأدهم ابن الدكتور أشرف؟

فأجاب الدكتور منتصر في حُزنٍ بالغٍ:

– للأسف النار مسكت في إدهم ابن الدكتور أشرف، وجثته اتفحمت تمامًا، والكاميرا كانت بتنقل المشهد وهي النار ماسكة في البيت، وجسم ابنه لغاية ما اتفحم، ورغم إن تقرير الطب الشرعي قال إن الحريق كان نتيجة ماس كهربائي نظرًا لأن الأسلاك كلها قديمة، إلا إن الدكتور أشرف الحوتي ماصدقش وفضل محمل نفسه المسئولية، وأصيب بانهيار عصبي تام، واتدهورت حالته تمامًا، وأصيب بنوبات اكتئاب حادة ومتتالية، وحاول الانتحار أكتر من مرة لغاية مادخل المستشفى هنا من حوالي خمس سنين.

نظرت هالة إلى الدكتور منتصر، وقد بدت على وجهها علاماتُ التأثر من الحادثة ثم قالت:

– بس يا دكتور منتصر رغم إن الحادث ده مؤلم جدًّا خصوصًا إنه شاف ابنه بيتفحم قصاد عينه إلا إن ده مش مبرر لإخفاء حالته أو فرض السرية دي كلها عليها.

أجابها الدكتور منتصر وهو يهزُّ رأسه يمينًا ويسارًا:

– ده لأن القصة ماخلصتش لغاية كده.

ملأ الفضول ملامح الدكتورة هالة وهي تسأل:

– حصل حاجة بعد دخوله المستشفى؟

أجاب الدكتور منتصر كمصارع قرَّر ان يستسلم لخصمه ويرفع الراية البيضاء:

– حصل حاجات، بعد دخول الدكتور أشرف الحوتي المستشفى بحوالي سنتين وبدأ ظاهريًّا عليه التحسُّن بدأت تحصل حاجات غريبة لبعض المرضى والدكاتره، زي ما يكون في حد بيسيطر على عقولهم وبيخليهم يتصرفوا بطريقة معينة، وبدأ بعضهم يكتب عبارات ورسوم فرعونية، لما بحثنا في الموضوع واستعنا بمتخصصين في علوم الآثار اكتشفنا إن الرسوم والعبارات دي موجودة في كتاب الموتى الفرعوني.

هتفت الدكتورة هالة وهي في قمة الاستغراب:

– كتاب الموتى!

فأكمل الدكتور منتصر حديثه:

– أيوه كتاب الموتى، وكان من الطبيعي إننا نشك إن اللي بيعمل ده هو الدكتور أشرف الحوتي، أو زي ما التمريض مسميه سيتالو، وكان أغرب حالة قدر إنه يسيطر عليها هي الحالة اللي انتي اخترتيها.

قالت هالة في دهشة:

– حضرتك أكيد تقصد حالة نفيسة.

أومأ الدكتور منتصر برأسه موافقًا وهو يقول:

– أيوه حاله نفيسة، ورغم إننا قدرنا نعزله عن باقي المرضى اللي كان بيأثر عليهم إلا إننا مقدرناش نمنع تأثيره على نفيسة، مش بس كده إنما

نتيجة التحقيق اللي اتعمل عن الأدوية اللي كانت بتاخدها نفيسة وساهمت في تدهور حالتها، واللي أثبت إن الدكتور أيمن الألفي هو اللي كان بيكتب العقاقير دي بإيده وبخطه خلاني شكيت إن سيتالو هو اللي كان مسيطر على عقل الدكتور أيمن الألفي وخلاه يكتب العقاقير دي من غير ما يشعر.

شعرت هالة كأن بركانًا من الأفكار قد انفجر برأسها، وفيضانًا من الأسئلة يتدفق داخل عقلها دون أن تجد إجابة منطقية لسؤال واحد منها: هل يمكن أن يصل أي شخص إلى هذه الدرجة من التخاطر وقراءة الأفكار والأحداث والتأثير فيها؟ هل ما يسرده الدكتور منتصر من أحداث واستنتاجات يخضع للمنطق والعلم؟ ما علاقتها بكل هذه الأحداث؟ وما سر معرفة هذا المريض باسمها؟ ولماذا كتبه بالدم؟ وما دلالة تلك الرموز؟ وكيف يعرف هذا المريض اسمها؟

أسئلة كثيرة دارت في عقل الدكتورة هالة وهي شاردة لحظة قبل أن يقطع هذا الشرود الدكتور منتصر قائلًا:

– عارف ان الحالة معقدة جدا ومثار للشكوك العلمية والمنطقية علشان كده يا دكتورة أنا قررت أعزل الحالة وأشرف عليها بنفسي، وأمنع اي حد ياخد عنها أي معلومة بس السؤال الأهم حاليًّا إيه تفسير اللي حصل؟ ومنين عرف سيتالو اسمك بالكامل؟ وليه كتبه بالطريقة دي؟ دي الأسئلة اللي لازم نلاقيلها إجابة.

استعادت الدكتورة هالة توازنها العقلي، وقامت من فوق مقعدها وهي تنظر إلى الدكتور منتصر قائلة:

– أعتقد إن بداية الإجابة على الأسئلة دي هاتكون من عند نفيسة.

فنظر إليها منتصر في استغراب وقال:

– كنت متخيل إنك هاتطلبي تقابلي سيتالو الأول.

فابتسمت هالة ابتسامة خفيفة قائلة:

– هاقابله لما أكون جاهزة إني أقابله، وأكون فاهمة كل حاجة، بعد إذنك يا دكتور.

خرجت هالة من غرفة الدكتور منتصر متجهة إلى غرفة نفيسة كأنها سَهمٌ قد خرج من كنانته مُنطلقًا يشقُّ الهواء نحو هدفه، ورغم ذلك كانت تشعر أن الزمن يتهادى في مشيته، والثواني تمرُّ كأنها ساعات وهي تقطع الطريق بين غرفة الدكتور منتصر وغرفة نفيسة.

وما إن وصلت إلى باب الغرفة، وطرقت الباب حتى جاءها الإذن بالدخول من نفيسة بصوتٍ منكسر يحمل الكثير من اليأس المختلط بالحزن، فدخلت سريعًا إلى الحجرة، لتجد نفيسة وقد جلست على طرف السرير وهي تضمُّ قدميها إلى صدرها وتدفن رأسها بينهما، فاقتربت منها بهدوء، ووضعت يدها بكل رفقٍ على ظَهْر نفيسة وهي تقول:

– نفيسة، نفيسة، مالك؟

فرفعت نفيسة رأسها ببطء شديد، وعيناها تحملان الكثير من التوسُّل وهما مملوءتان بالدموع التي تأبى الانطلاق، كأن هناك من يحبسها بداخل عيني نفيسة رغمًا عن إرادتها، ونظرت إلى عيني الدكتورة هالة لحظة، كانت نظراتها تصرخ للاستنجاد بها من عذاب لم تعد تتحمله، وفَاقَ قُدرتها على الاحتمال، ثم عاودت وَضْع رأسها بين قدميها مرة أخرى.

جلست هالة بجانبها على طرف السرير، ووضعت يدها على كتفها، وربتت عليها في هدوء، وهي تقول:

– نفيسة، نفيسة، انتي سامعاني؟

شعرت هالة بقشعريرة تسري في جسدها دفعة واحدة، فرفعت يدها من فوق كتف نفيسة، كأن صاعقة كهربائية قد أصابتها، وفجأة وقفت نفيسة على قدميها واستدارت لتقف في مواجهة الدكتورة هالة، وقد تبدلت ملامحها، وارتسمت على وجهها علاماتُ العظمة والقوة والكبرياء، ونظرت مباشرة إلى هالة وجاء صوتها حادًّا، وهي تقول:

– ليه ما قابلتيهوش؟

رفعت هالة حاجبها في تحدٍّ وهي تقول:

– لأ لسه محتاجة أفهم حاجات كتير قبل ما أقابله.

ارتسمت على وجه نفيسة علاماتُ السخرية، وداعبت ابتسامة ساخرة شفتيها وهي تسأل هالة:

– تفهمي، تفهمي إيه؟

أجابت هالة سريعًا:

– أفهم حقيقة كل اللي بيحصل، وليه بيحصل، وعاوز مني إيه، عاوزة أعرف كل الحقيقة.

خطت نفيسة خطوات بطيئة وهي تتجه لتجلس بجوار هالة على طرف السرير، وتقترب بفمها من أذنها لتهمس قائلة:

– هو الحقيقة، هو الشمس الحارقة، هو المنبع لكل الأفكار.

ابتعدت هالة عن نفيسة وأدارت رأسها إليها قائلة:

– هو مين؟ وعاوز مني إيه؟

أجابت نفيسة وهي تدير رأسها ببطء لتتلاقى عيناها بعيني هالة:

– عاوز يحرر روحك ويرشدك للعالم الحقيقي بعيد عن عالم الوهم، هو المرشد اللي هايخلصك من الغمامة اللي على عنيكي ومخلياكي مش شايفة الحقيقة، قدراته مالهاش حدود ولا يقدر يحكمها زمان أو مكان.

عقدت هالة حاجبيها في استغراب شديد، وهزَّت رأسها يمينًا ويسارًا وهي تقول:

– أنا مش فاهمة حاجة.

ابتسمت نفيسة في مودةٍ بالغة، ووضعت يدها على كتف هالة قائلة:

– لأنه لسه السحاب على عنيكي ساكن جواكي، إنما أول شعاع شمسه ما يدخل جواكي ويسكن كل زاوية في روحك هاتفهمي كل حاجة، روحيله

لازم تقابليه هو ناداكي ومانقدرش نخالف أوامره، روحي عنده وهاتعرفي كل حاجة.

ما إن انتهت نفيسة من حديثها حتى رفعت قدميها من فوق الأرض، ومدَّدت جسدها على السرير، وأغمضت عينيها، فقامت هالة من جلستها، ونظرت إلى وجهه نفيسة وهي مغمضة عينيها، ثم أطفأت أنوار الغرفة، وخرجت في هدوء وأغلقت الباب خلفها.

شعرت هالة بإرهاق رهيب، كأن جسدها قد أعلن الثورة عليها، فقدماها ثقيلتان جدًّا، لا تقويان على حملها، كأن وزنها قد زاد عشرات الكيلوجرامات، وتلتقط أنفاسها بصعوبةٍ كمسافرٍ في صحراء قاحلةٍ ضاعت راحلتُه، ويسير على قدميه منذ أيام، وحلقها جافٌّ كصائم يقف منذ ساعات في أشد أيام الصيف حرارة، حتى عقلها قد أعلن تمرده على التفكير، وتوقَّف تمامًا، وأصبح مثل ماكينةٍ تدور تُروسها دون أي هدفٍ أو نتيجة.

وما إن وصلت منزلها حتى صعدت إلى غرفتها، وأغلقت الباب وراءها، وألقت جسدها على السرير كجثةٍ هامدةٍ لا أمل في عودتها إلى الحياة، لدرجة أنها لم تشعر بوالدها الذي دخل غرفتها وهي نائمة ليطمئنَّ عليها بعد عودته من عمله، وبعد أن أخبرته الدادة أم هاني أن هالة لم تتناول طعامها عند عودتها، وأنها حتى لم تُجب عن حديثها إليها عند عودتها، بل كانت شاردة الذهن، ومتعبة جدًّا؛ مما دفع والدها إلى القلق عليها، والصعود إلى غرفتها للاطمئنان عليها، فوجدها نائمة بملابسها وحذائها، وجميع أنوار الغرفة مضاءة؛ مما زاد من قلقه، ولكنه لم يشأ أن يوقظها لإحساسه بإرهاقها، واكتفى

بالجلوس بجوارها لحظات ومداعبة شعرها، وطَبَعَ قُبلةً على جبينها، وأطفأ أنوار الغرفة وخرج بهدوء.

وفي صباح اليوم التالي استيقظت هالة متأخرًا جدًّا عن ميعاد استيقاظها، وقد انتابها صُداع رهيب، وشعور بالتعب والإرهاق يجتاح كل عظام جسدها الرقيق. وما إن استيقظت وفتحت عينيها حتى رن هاتفها المحمول، كأن هناك مَن يراقبها وينتظر استيقاظها. أمسكت بالهاتف ونظرت إلى الرقم المتصل، فوجدت رقم الدكتور أيمن الألفي، وقد أتى صوته متوترًا خائفًا كرجلٍ يُواجه أسدًا جائعًا في قفصٍ مُغلقٍ، وهو يقول لها:

– دكتورة هالة، أنا لازم أقابلك في أسرع وقت.

ملأت الدهشة عقل هالة، واتسعت حدقتا عينيها، وتنبَّهت كل حواسها وهي تقول:

– خير يا دكتور أيمن؟

ازدادت نبرة التوتر والخوف في صوت الدكتور أيمن، وامتزجت بنبرة توسُّلٍ واستجداءٍ، وهو يصيح:

– أرجوكي يا دكتورة قابليني في العيادة بتاعتي حالًا، ولما تيجي هاتعرفي كل حاجة، بس لازم في أسرع وقت، أرجوكي.

أغلقت هالة المكالمة، وهبَّت رغم الإعياء الذي يتمكَّن من كل مليمتر في جسدها، وارتدت ملابسها سريعًا، واتجهت إلى عيادة الدكتور أيمن الألفي، وما إن وصلت البناية الموجود بها العيادة حتى وجدت العديد من رجال

الشرطة بملابسهم الرسمية، واستوقفها أحدهم ليسألها إلى أين تتجه؟ وحينما أجابته بانها تتجه إلى عيادة الدكتور أيمن الألفي حتى منعها رجل الشرطة، وأخبرها بأن الدكتور أيمن قد وُجد مقتولًا في عيادته، فأصرَّت على الصعود، وظَلَّ رجل الشرطة يمنعها حتى حضر أحد الضباط، وحينما أخبرته أنها صديقة الدكتور أيمن، وأنه قد طلب منها منذ قليل مقابلتها في العيادة لأمرٍ مهمٍّ، وتريد إبلاغ المحقق بذلك، سمح لها الضابط بالصعود إلى العيادة، وهناك وجدت العديد من رجال المباحث الجنائية وخبراء الطب الشرعي، فطلبت مقابلة الضابط المسئول عن القضية، فاقتادها أحد الضباط إلى المقدم عزت، الذي استقبلها وأجلسها، وبدأ يسألها عن علاقتها بالدكتور أيمن، وسبب حضورها لعيادته في هذا التوقيت قبل مواعيد فتح العيادة الرسمية، وحينما أخبرته بأنها كانت تشرف على إحدى الحالات التي كان يتولَّى الدكتور أيمن علاجها في المصحة النفسية التي تعمل بها، وأنها تلقَّت منه اتصالًا منذ ما يقرب من الساعتين يطلب منها مقابلته في العيادة فورًا دون أن يفصح عن سبب طلبه الذي ألحَّ فيه بشدةٍ، فحضرت إليه، ولكنها وجدت الشرطة التي أبلغتها بمقتله.

استمع إليها المقدم عزت بكل اهتمام حتى أنهت حديثها، ثم أخبرها أن الشرطة قد تلقت اتصالًا هاتفيًّا من شخصٍ مجهولٍ يبلغهم بجريمة قتل في عيادة الدكتور أيمن، وعند حضورهم للتيقُّن من البلاغ اكتشفوا جثة الدكتور أيمن ملقاة على الأرض، والدماء تغطي أرضية العيادة، وقد انتُزِعَ قلبُ الدكتور أيمن من الجثة.

وقبل انتهاء المقدم عزت من حديثه حضر إليه الطبيب الشرعي الذي أبلغه أن المعاينة المبدئية للجثة أظهرت أن انتزاع قلب الدكتور أيمن قد جرى بوحشيةٍ، كأن القاتل ينتقم من الجثة، فمزَّق الجسد والأضلاع لينتزع القلب.

ثم تبعه أحد الضباط ممسكًا ورقةً مرسومًا عليها علامة، وأعطى المقدم عزت إياها، الذي نظر إليها باستغراب شديد وهو يُقلِّب فيها، فلمحت هالة الورقة والرسم الموجود عليها، فطلبت منه رؤية الورقة، وما إن أعطاها إياها حتى شعرت هالة بقشعريرةٍ تسري كفيضانٍ داخل جسدها، فهي تعرف هذا الرسم جيدًا، فأبعدت بيديها الممسكتين بالورقة على امتدادهما، وأرجعت رأسها للخلف من هول المفاجأة، فلاحظ ذلك المقدم عزت الذي بادرها بالسؤال:

– انتي تعرفي معنى الرسم ده يا دكتورة؟

مدت هالة يدها بالورقة للمقدم عزت ثانية وهي تجيب:

– أيوه أعرف، لأني كنت من فترة قريبة قريت مقال على الإنترنت عن علاقة عين حورس بالأمازيغ، والمقال كان بيتكلم عن الرسمة دي بوصفها شعار لبعض أمراء الأمازيغ، والشعار أو الرسمة دي ليها قصة، اسمحلي أقولها لحضرتك.

وبدأت الدكتورة هالة في سرد قصة هذه الرسوم فقالت:

– القصة بدأت في مصر في زمن الفراعنة، حيث كان الازدهار الحضاري والرُّقي الفكري وكانت المعابد التي تدرس العلوم للناس منتشرة في مصر

الفرعونية بالكامل، ومن بين هذه المعابد كانت هناك المعابد السرية التي تخرج الوزراء والقادة ومستشارين الفرعون، ومن بين هذه المعابد كان معبد الإله حورس، حيث تدرس العلوم الخطيرة والمحرمة على عامة الناس، وكان هذا المعبد تحت حماية الفرعون نفسه، ويحرسه حرس الفرعون، حيث يُدرس هذا المعبد الكيمياء وعلوم التحنيط والتنويم المغناطيسي والحساب المعقد والتنجيم، وأهم علم كان يتم تدريسه في معبد حورس هو علم قوى العقل والتحكم في طاقة الجسد والتحكم والتأثير في المادة، وكان هذا المعبد يأتيه الأمراء من كل العالم ليتلقوا العلوم بداخله، ومن بين هؤلاء الأمراء التلاميذ كان قادة الأمازيغ، هؤلاء الذين عُرفت عنهم الطبيعة العنيدة والشراسة، وعدم الانصهار في الثقافات الأخرى. حتى أتى على الحضارة الفرعونية المصرية حكام تسلطوا على الشعب، وتجبَّروا عليه واستعبدوه.

وكعادة الحكام الديكتاتورين المتسلطين كان كل همهم الأموال والنساء، وهم يحتاجون للسيطرة على الشعب إلى مجموعة من الكهنة والعلماء المنافقين ليبتزوا الشعب لمصلحة الحاكم، ويساهموا في نشر الجهل بين الشعب، وتقسيمه، ليبتزوه لخدمة مصالحهم.

ويحتاجون كذلك إلى بعض الحروب الداخلية والخارجية للإبقاء على الشعب تحت سيطرتهم، ونشر الرعب في المجتمع؛ ليظل الناس تحت لوائهم طلبًا للأمن والأمان. فساد الظلم والظلام والجهل في المجتمع.

ورغم كل هذا كانت هناك بعض الأصوات المُعارِضة لجبروت الفرعون، وكان على رأس هؤلاء المعارضين الأمازيغ الذين يدرسون في معبد حورس؛

مما دفع الفرعون وجنوده إلى مطاردتهم، وغَلْق المعابد السرية وخصوصًا معبد حورس، وحرَّم العلوم على الجميع؛ حتى لا يفكر أحد في استخدامها ضده، واستغل العلماء المنافقين ليصوروا للناس إنه إله خارق، ويجب عبادته.

في هذه اللحظة المظلمة من التاريخ الفرعوني كان يجب أن يفعل أحدهم شيئًا للتخلص من هذا الفرعون المُتجبِّر، ولم يكن هناك سوى الأمازيغ العنيدين لفعل ذلك.

بدأ الأمازيغ الذين فرُّوا من قبضة الفرعون في إقامة جماعات سرية للدفاع عن حقوق المستضعفين، وتعليم الناس العلوم السرية والمحرمة ليستعملوها فيما بعد في التخلص من الفرعون الجبار.

وكما اختار الفرعون أن يحكم الناس بالجهل والظلام والاستعباد والجبروت، اختارت الجماعات السرية مقاومته ومحاربته عن طريق العِلم والحق والشجاعة والعدل.

وبما أن الناس يقرؤون اللغة الهيروغليفية فقط فسيستخدمون شعار اليد المفرودة بمعنى قف، ويتوسطها عين حورس، وعليه كلمات بسيطة بالهيروغليفية، وهي الجماعة السرية لمحاربه الشَّرِّ.

وظلت الحرب بين الفرعون الجبار والجماعات السرية تدور في الخفاء حتى نجحت الجماعات السرية في نشر العلوم والنور بين الناس، واستعدت جيدًا لمحاربة الفرعون، ودارت الحرب بين الطرفين، وكانت حربًا ضروسًا حتى انتصر الشعب بقيادة الجماعات السرية على فرعون الجبار وجنوده،

وأصبح شعار الجماعات السرية دليلًا على الشجاعة والحماية، ويستخدمه الناس لمحاربة القوى الشريرة، ونسجت الأساطيرُ حوله أن هذا الشعار قادر على إيقاف الشياطين الجبابرة، وإبعاد أي أذًى عن الإنسان.

كان المقدم عزت ينصت باهتمام إلى هالة وهي تسرد قصة الرسوم الموجودة على الورقة، ولكنها بمجرد انتهائها من الحديث ظهرت على وجهه علاماتُ عدم الفهم وسألها قائلًا:

– أيوه إيه علاقة الحكاية دي بجريمة قتل الدكتور أيمن؟ وهل ده يفيدنا في معرفة الجاني؟

فأجابت هالة:

– أنا ما اعرفش إيه العلاقة ولا أعرف هاتفيد حضرتك في التحقيق ولا لأ، بس فيه حاجة ممكن تفيد حضرتك.

ظهرت علاماتُ الاهتمام على وجه المقدم عزت، وهو يقول:

– لو عندك أي معلومة قوليها.

فقالت هالة:

– الدكتور أيمن كان مسئول عن حالة مريضة اسمها نفيسة في مصحة الدكتور منتصر، المريضة دي من فترة ظهرت عليها أعراض غريبة وبقت بتتخيل نفسها ملكه من ملوك الفراعنة، وبقت بتمتم بكلمات فرعونية

باستمرار، وأعتقد إن فيه ربط بين الرسمة دي وبين حالة المريضة اللي كان الدكتور أيمن بيشرف على علاجها.

شرد المقدم عزت لحظة كأنه يحاول تجميع كل تلك الحكايات المتباعدة التي تسردها الدكتورة هالة ليحاول إمساك طرف خيط يصل به إلى معرفة الجاني قاتل الدكتور أيمن حتى قطع تركيزه أحد الضباط يطلب منه الحضور لمعاينة مكتب الدكتور أيمن. فنظر المقدم عزت إلى الدكتورة هالة، وأبلغها بأن بإمكانها الانصراف حاليًّا، وطلب منها رقم هاتفها للاتصال بها واستدعائها في حاله الاحتياج لسماع أقوالها والاستفسار منها عن أي شيء يخصُّ القضية.

رحَّبت الدكتورة هالة بذلك، وأعطت المقدم عزت رقم هاتفها، وغادرت موقع الجريمة.

هبطت هالة سلم البناية وهي في حالة يُرثى لها، فالأحداث تتسارع من حولها وتتشابك في دوائر مغلقةٍ لا فكاك منها، ومحاطة بطلاسم غير مفهومةٍ زرعت بداخلها آلاف الأسئلة التي لا تجد إجابات.

كانت درجات السلم أشبه بدرجات تؤدي إلى بئر عميقة مظلمة، كلما هبطت درجةً شعرت بأنفاسها تختنق، كأن يدًا عملاقةً تلتفُّ حول عنقها.

خرجت هالة من باب البناية لتستقلَّ سيارتها لتعود إلى منزلها، وما إن همَّت بفتح باب السيارة حتى لمحت إلهام الممرضة في مستشفى الدكتور

منتصر وهي تعبر الشارع في سرعةٍ غير عاديةٍ، واستقلت سيارةً يبدو أنها كانت في انتظارها، ورحلت سريعًا.

كان الأمر غريبًا جدًّا لهالة، ومُثيرًا للدهشة والتساؤل، فوجود إلهام في محيط عيادة الدكتور أيمن الألفي في هذا التوقيت لهو أمرٌ يُثير الشك والريبة، فهل لإلهام علاقة بمقتل الدكتور أيمن؟

استقلت هالة سيارتها، وقد اتخذت قرارًا بالذهاب إلى مستشفى الدكتور منتصر في الصباح ومقابلة سيتالو حتى تجد مخرجًا من تلك الأحداث، ولعلها تفهم أي شيءٍ منه يساعدها على فك تلك الألغاز، وكل ما عليها في الوقت الحالي أن تأخذ قِسطًا من الراحة لعلها تستعيد بعضًا من نشاطها وقُدرتها على التركيز والتفكير.

ما إن وصلت هالة إلى منزلها حتى كان الإعياء ظاهرًا عليها جليًّا، ولولا قوة شخصيتها ورباطة جأشها لانهارت تحت وطأة كل تلك الأحداث، ولكنها ما إن دخلت من باب الفيلا حتى انهارت على أقرب مقعدٍ وهي شاردة صامتة، عيناها تحملان نظرة للمجهول، وهي تتلمس الرؤية وسط ظلام دامس، ولم ينقذها من شرودها في تلك المتاهة المظلمة سوى يد والدها وهي تربت على كتفها، وصوته وهو يقول لها:

– مالك يا هالة؟

أدارت هالة رأسها ببطء شديد كمن يحاول استعادة انتباهه من تأثير مُخدرٍ قوي المفعول، وتجولت نظرتها بين يد والدها ووجهه وهي تجيبه:

– الدكتور أيمن اتقتل يا بابا.

سقطت يد والدها من فوق كتفها، وارتسمت على وجهه علامات الدهشة والقلق الشديد في آن واحد، واستدار ليجلس بجانبها وهو يُحدق إليها، وقد جحظت عيناه وقال:

- الدكتور أيمن مين؟

وجدت هالة نفسها تسرد لوالدها القصة من بداية وصولها إلى مستشفى الدكتور منتصر وحتى مقتل الدكتور أيمن الألفي دون أن تشعر، كأن عقلها أراد أن يُخفف من حمولته بإلقاء الحكاية على شخص آخر يُشاركها فيها ويغوص معها في تلك اللوغاريتمات معها لعله يجد إجابة لتلك الطلاسم.

كان والدها يستمع إليها بإحساس الأب المذعور على ابنته، وقد انعكس ذلك على ملامح وجهه، وما إن انتهت من رواية القصة على مسامعه حتى احتضنها بشدةٍ، وشعر بدقات قلبها المتعطشة لإحساس الأمان، وأن هناك من يقف بجوارها، ولكن في حقيقة الأمر فقد احتضنها ليشعر أنها في أمان بين أحضانه، وأنه لا توجد قوة على الأرض تستطيع المساس بابنته بأي سوء.

ثم ربت على وجنتيها بهدوء شديد وقال لها:

- انتي حاليًا محتاجة للراحة، اطلعي أوضتك ارتاحي والصبح نشوف هانعمل إيه.

هزَّت هالة رأسها بالموافقة في هدوء شديد، وقامت بحركة آليةٍ كشخصٍ مسلوب الإرادة واتجهت إلى غرفتها، وألقت نفسها على سريرها لتنام.

استيقظت هالة وقد أعلن جسدُها العصيان عليها، فهو يرفض مرافقة عينيها في الاستيقاظ، وحتى قوتها الداخلية لم تشفع لها في الانتصار على هذا الجسد الرقيق الذي نال منه التعب، ولعل عقلها قد ألقى أيضًا بكل الأفكار والأحداث التي مرَّت بها على جسدها، فرفض التحرك من فوق سريرها، كمن يرغب في هدنةٍ ولو مؤقتةٍ يحصل فيها على قليل من الهدوء والسكينة ليستطيع المواصلة.

كل ما استطاعت هالة فعله هو أن فتحت عينيها ونظرت إلى سقف الغرفة، ومرَّت الدقائق بطيئة وهي تنظر إلى السقف شاردة في لا شيء، حتى بدا لها أن سقف الغرفة ينفتح لتظهر السماء صافيةً زرقاء تحتضن بعض السحب البيضاء في حنانٍ، فشعرت ببعض الهدوء، حتى بدأت السُّحب البيضاء تداعب عيني هالة، وتتشكل رويدًا رويدًا في اشكال تُشبه ألعابها وقطتها الأليفة، وأرجوحتها التي كانت تستعملها وهي طفلة صغيرة.

ارتسمت ابتسامة صغيرة على شفتي هالة وهي تشاهد السحاب يجسد أجمل أيام طفولتها البريئة الرقيقة، وهي جالسة على الأرجوحة، وتشقُّ الهواء برجليها في سعادة ومرح بالغ، وها هي والدتها قد أتت لاصطحابها، فتُوقف الأرجوحة، وتُمسك يدها الصغيرة في حنانٍ بالغ، وتطبع قُبلةً على خدها، وتخبرها في سعادة أنهم ذاهبون إلى الساحل الشماليِّ لقضاء العطلة، وتخطوان معًا إلى السيارة التي تنطلق بهما برفقة والدها إلى وجهتهم، وها هي السيارة تغزو الطريق غزوًا للوصول إلى مقصدهم، ولكن فجأة ينفجر أحد إطارات

السيارة، فتختلُّ عجلة القيادة في يد والدها، وتنقلب السيارة عدة مرات، وتشاهد الدماء تسيل من وجه والدتها وجسدها، وهي ممسكة بيدها وتقول لها:

– أنقذيني، أنقذيني.

شعرت هالة بدمعة تترقرق على وجنتيها، وهو أمر نادر الحدوث منذ حادثة السيارة؛ مما أخرجها من شرودها، وعاد بها إلى أرض الواقع، وسقف الغرفة مرة أخرى، ولكن تلك الدمعة كانت كفيلة بأن تُعيد إليها وعيها، وأن تساهم في انتصارها على الآلام القابعة في جسدها لتساعدها على إجباره على النهوض لمقابلة سيتالو ومعرفة الحقيقة.

مسحت هالة الدموع من عينيها، وعادت ملامح الجدية ترتسم على ملامحها مرة أخرى، وقامت لترتدي ملابسها، واستقلت سيارتها وذهبت مباشرة إلى المصحة.

ما إن دخلت هالة على الدكتور منتصر في مكتبه بالمصحة حتى شاهدت الحزن البالغ على وجهه، وما إن رآها حتى بادرها قائلًا:

– شفتي اللي حصل للدكتور أيمن يا دكتورة هالة؟

ردَّت هالة في حزنٍ وآسًى:

– أيوه يا دكتور منتصر أنا كنت هناك.

نظر إليها الدكتور منتصر في قمة الاستغراب قائلًا:

– كنتي هناك؟ هناك فين؟

جلست هالة على المقعد المقابل للدكتور منتصر، وهي تقول:

– الدكتور أيمن قبل وفاته اتصل بيا وطلب مني أقابله في العيادة، وللأسف لما روحت لقيته مقتول والشرطة هناك.

ازدادت علامات الدهشة والاستغراب على وجه الدكتور منتصر قائلًا:

– معقول! طب وما عرفتيش كان عاوز منك إيه؟

أجابت هالة في يأس:

– للأسف لما وصلت كانت الشرطة هناك، وكان دكتور أيمن اتقتل، بس الغريبة إني وأنا نازلة شفت إلهام الممرضة هناك.

عَقَدَ الدكتور منتصر حاجبيه واتسعت عيناه، وهو يقول في تعجُّبٍ:

– إلهام ! إزاي إلهام هنا في المستشفى إمبارح طول اليوم، وبالليل كان عندها نباطشية ماخرجتش من المصحة، ومشيت النهاردة الصبح بعد ما ميعاد النباطشية خلص.

هَمَّت هالة أن تُجادل الدكتور منتصر بأنها متأكدة أنها شاهدت إلهام تعبر الشارع أمام البناية الموجودة بها عيادة الدكتور أيمن، إلا أن شيئًا ما بداخلها قد منعها من ذلك، وحدَّثتها نفسها بأن تصمت حتى تفهم ما يحدث حولها، فالشكوك بداخلها جعلتها لا تثق بأي أحدٍ خصوصًا أنه قد سبق أن تضاربت أقوال الدكتور منتصر والدكتور أيمن بخصوص حالة نفيسة،

وألقى كُلٌّ منهما اللومَ على الآخر في تدهور حالتها، فهزَّت رأسها في حركةٍ آليةٍ، وهي تجيب الدكتور منتصر قائلةً:

– يمكن يكون حد شبهها وأنا بفعل صدمة قتل الدكتور أيمن اختلط عليا الأمر.

ما إن انتهت هالة من جملتها حتى رن هاتفها المحمول فأخرجته من حقيبتها لتجد أن المتصل هو والدها الذي عنَّفها بشدةٍ لخروجها وهي في هذه الحالة النفسية والجسدية السيئة، فطمأنته عليها، ورغم عدم اقتناعه بكلامها، فقد طلب منها ضرورة العودة إلى المنزل سريعًا حتى يتحدث معها، فأخبرته أنها ستعود فور إنهاء بعض الأعمال بالمصحة، وستتحدث معه في كل شيء ليطمئن عليها، وأغلقت الهاتف، ثم نظرت إلى الدكتور منتصر، وقد استجمعت كل قُوَّتها الداخلية، وقالت في صوتٍ كله ثقة وتحدٍّ:

– أعتقد يا دكتور منتصر إني لازم أقابل المريض سيتالو.

أومأ الدكتور منتصر برأسه موافقًا، فهو كان يتوقع أن تطلب الدكتورة هالة مقابلة سيتالو خصوصًا بعد أن كتب اسمها بالدماء على الحائط مُحاطًا بتلك الرموز الفرعونية غير المفهومة، وقام من فوق مكتبه واصطحب الدكتورة هالة إلى غرفة سيتالو.

كان الطريق إلى غرفة سيتالو أشبه بمتاهة داخل كهف جبلي، فالغرفة كانت مخصصة للحالات شديدة الخطورة، وتقبع في مكانٍ خاصٍّ بالمستشفى

بعيدًا عن كل غرف المرضى؛ لذا فالطريق إليها يمرُّ عبر منعطفاتٍ عديدةٍ حتى تصل إلى الغرفة.

وبمجرد وصول الدكتور منتصر والدكتورة هالة إلى الطرقة التي توجد بها الغرفة حتى شعرت هالة كأن هناك كهرباء خفيفة تسري بداخل عقلها، وآلاف الصور تمر أمام عينيها فتوقَّفت لحظة، ووضعت يدها على رأسها، وأسندت جسدها على الحائط رغمًا عنها؛ مما دعا الدكتور منتصر للتوقف وسؤالها إن كانت تشعر بأي تعبٍ، فأجابته بأنها مُرهقة قليلًا، ولكنها بخير على أي حال.

أصبح بين هالة وبين غرفة سيتالو بضع خطوات بسيطة، وكلما تقدَّمت خطوة شعرت بأنفاسها تضيق رويدًا رويدًا، والدوار يزيد في عقلها، والصور تزداد وضوحًا وسرعة أمام عينيها، ولكنها كانت تتماسَك وتحاول السيطرة على عقلها، حتى شعرت بأن هناك مَن يحاول اختراق عقلها رغمًا عنها وهي تقاوم في بسالةِ الجندي الأخير في معركة الحياة والموت حتى وصلت بصحبة الدكتور منتصر للحجرة، وطَرَقَ الدكتور منتصر الباب بضع طرقاتٍ متتاليةٍ على باب الغرفة، وأدار مقبض باب الغرفة ليدخل، وانفتح باب الغرفة، وفي اللحظة نفسها رنَّ هاتف الدكتور منتصر، وأتى صوت الطرف الآخر وهو المقدم عزت يخبره بأنه في انتظاره في حجرته بالمصحة لسؤاله عن بضعة أشياء تخصُّ قضية مقتل الدكتور أيمن، فبدا التوتر جليًّا على وجه الدكتور منتصر وهو يقول:

– حاضر، حاضر، أنا جاي لحضرتك حالًا.

أغلق الدكتور منتصر المكالمة، ونظر إلى هالة، وأخبرها بمقدم المقدم عزت، وضرورة ذهابه لمقابلته في غرفته، وأنها يمكنها تأجيل مقابلة سيتالو إلى حين انصراف المقدم عزت، ولكن هالة أصرَّت على المقابلة الآن فوافق الدكتور منتصر على ذلك، وأنه سوف يتابعها في كاميرا المراقبة، وأنه سيحضر إليها فورًا في حال احتياجها إليه.

انصرف الدكتور منتصر ودفعت هالة الباب ودخلت إلى الغرفة.

لم تكن الغرفة كباقي غرف المصحة، غرفة صغيرة بداخلها مرتبة إسفنجية بيضاء، وجدران الغرفة بالكامل مبطنةً بإسفنج أبيض، سقفها مرتفع جدًّا، في منتصفه تمامًا كشَّاف بداخل السقف يأتي ضوؤه ضعيفًا، كأنه يشقُّ طريقه بصعوبةٍ فيصل مُنهكًا متعبًا باردًا.

على الجدران اسم هالة محاطًا بدائرة تحمل رموزًا فرعونية مرسومة بالدماء، وتبدو وكأنها مضاءة باللون الأحمر؛ مما أضفى على الغرفة مظهرًا مهيبًا وبخاصة تلك البقعة الحمراء في الحائط التي وقف سيتالو أمامها بوجهه رافعًا يديه كطفلٍ عاقبه المدرس بالوقوف رافعًا ذراعيه أمام الحائط، غير أنه يثني كفيه قليلًا في انحناءة بسيطة رافعًا رأسه لأعلى، مُوجِّهًا نظره إلى سقف الغرفة، وجسده ثابت لا يتحرك قيد أنملة، كناسكٍ انطلقت روحه للسماء، وجسده في حالةٍ من التضرع والخشوع.

بمجرد دخول هالة للغرفة وقبل أن تنطق بكلمة واحدة خفض سيتالو يديه في حركة بطيئة جدًّا، كأنه في مشهدٍ تمثيلي، وأدار جسده ليصبح في مواجهتها تمامًا، ينظر في عينيها صامتًا كتمثال يوناني من الحضارة الإغريقية القديمة، ولعل مقوماته الجسدية قد أضفت هيبةً ووقارًا بجانب غموضه.

فجسده قوي متوسط الطول، ذو وجه دائري يحمل قدرًا من الوسامة في ملامحه، يرتدي نظارة طبية صغيرة متناسقة تمامًا مع وجهه وسمار لونه الغالب على معظم المصريين.

لحظات ظل سيتالو ينظر إلى هالة في عينيها، حتى شعرت بأن هناك جِسرًا يتكون بين عقليهما حتى اكتمل تمامًا، وبدأ شخص يشبه سيتالو تمامًا صغير الحجم لا يزيد عن عقلة الإصبع يخطو فوق هذا الجسر بخطواتٍ منتظمة في شكلٍ آليٍّ ليصل إلى عقلها، فاستحضرت كل قُدراتها ودراستها لعلم التخاطر الذي درسته في أمريكا، وبدأت تقاوم هذا المخلوق الصغير، وتبني السدود واحدًا تلو الآخر لتمنعه من الوصول، وأصبح الأمر أشبه بمباراةٍ في لعبة المصارعة بين مصارعين أقوياء يحاول كلٌّ منهم التغلب على الآخر وإظهار قدراته غير المحدودة.

اشتعلت جذوة الصراع بينهما، وبدأت سرعة تلك المصارعة تزداد، وضربات المخلوق الصغير تزداد قوة في تكسير الحواجز والسدود التي يصنعها عقل هالة لمواجهته، حتى اقترب هذا المخلوق الصغير من نهاية الجسر، وأصبح على مقربة من اختراق عقل هالة، فأغمضت عينيها، كأنها

ستلقي آخر أوراقها لمواجهته، وفجأة انطلقت ضحكةٌ عالية بصوت رخيم هادئ، وانقشع هذا الجسر تمامًا، كأنه كان من الدخان، وجاء صوت سيتالو، وقد لمعت عيناه وهو يقول:

– كنت عارف إنك لسه محتفظة بقوتك.

شعرت هالة بالدهشة، فهي لم تقابله من قبل، ولا تعرفه، ولعل ما أدهشها أكثر أنها شعرت في نظرته ببعض الحنين والاشتياق، فعيناه كانتا تحملان نظرة عاشقٍ فارق حبيبته منذ سنواتٍ، وانقطعت أخبارها ثم قابلها مصادفةً في مكانٍ مزدحم، فانعزلت عيناه عن العالم المحيط بهما، وتركزت نظراته عليها، وامتلأت روحه بمزيجٍ من الفرحة والاشتياق، وانعكس ذلك على عينيه، فلمعتا واتسعتا عن آخرهما لتحتويا كل تفاصيل جسد حبيبته وروحها.

سألت هالة في دهشة ممزوجة بهدوء:

– وانت تعرف منين إني قوية؟ ويعني إيه محتفظة بقوتي؟

أدار سيتالو جسده إلى الحائط، ونظر إلى الرموز الموجودة على الحائط بشوقٍ بالغ، كأنه ينظر إلى صورة حبيبته البعيدة عن عينيه منذ سنوات، ومَدَّ أنامله يتحسس الرموز الفرعونية، كأنه يحتضنها بأصابع يديه وهو يقول:

– أعرفك من أول ما الشمس أصبحت تشرق في السما، أعرفك من يوم ما خرجت أول نسمه تلمس خدود الورد، أعرفك من يوم ولادتك لأول مرة.

ازدادت علامات الدهشة والارتباك على هالة، وهي تسأل سيتالو ثانيةً:

– ولادتي لأول مرة؟

أجاب سيتالو في هدوء:

– الروح بتتخلق للمرة الأولى صافية، روح فطرية بتحب الخير والحق والجمال، تدخل معترك الحياة تدوب فيه ويدوب فيها، فيه أرواح بتفضل نقية وطاهرة وقوية ودي بتنتقل من جسد فاني لجسد آخر، وفيه أرواح بتتغير وبتتحول لأرواح سيئة وشريرة، لكنها محتفظة ببعض الضوء جواها بتاخد فرصة تانيه، وبترجع تتنقل من جسد فاني لجسد حيوان لجسد نبات، وفيه أرواح بتتحول لشياطين شريرة قاتلة ودي مصيرها بيبقى الجحيم، وتتولد أرواح جديدة مكانها تدور في نفس الدايرة.

زاد حديث سيتالو من دهشة هالة، فهذا التفكير يقترب كثيرًا من التفكير في الديانة الهندوسية، فقالت:

– أنا مش فاهمة تقصد إيه، ممكن توضح اكتر بس بشرط انك تقول الحقيقة، الحقيقة كاملة ومش أي حاجة غير الحقيقة.

انطلقت الضحكات بصوتٍ عالٍ من سيتالو، وأدار جسده سريعًا ليواجه هالة، وبدأ يخطو حولها في خطواتٍ هادئة، وهو ينظر إليها قائلًا:

– الحقيقة؟! مافيش حاجة اسمها الحقيقة، أي شيء لا نستطيع أن نتفق على وجوده جميعًا لا يعتبر حقيقة، والأهم إنه لا يوجد شيء نتفق على وجوده.

أنا مثلًا شايف الدين حقيقة والرب موجود، بالنسبة للملحد الدين والرب وهم، أنا شايفك فتاة طيبة وقوية، ولكن بالتأكيد هناك من يراكي شخصية سيئة وشريرة.

في الأحلام بتشوفي أشياء وأشخاص وأماكن وتشعري إنها حقيقة رغم إنك في حلم أصلًا، إزاي تعرفي إنك مش في حلم حاليًّا، وإن كل العالم حولك وهم من نسج خيالك أو خيال شخص آخر تسلل إلى داخل عقلك، ورسم كل تلك الأحداث والأشياءوتيجي لحظة تكتشفي إن كل هذا وهم وليس له وجود.

شبكت هالة ذراعيها أمام صدرها، وبدأ الاهتمام بالإنصات يبدو عليها، وقالت:

– قصدك الحقيقة بتختلف من شخص لآخر زي أي شعور إنساني؟

ابتسم سيتالو في هدوء، وقد تلاقت عيناه بعيني هالة:

– الحقيقة مرتبطة بالواقع، لازم يكون فيه واقع علشان يبقى فيه شك أو حقيقة، والواقع نفسه ممكن مايبقاش موجود ويبقى مجرد حلم أو حياة مؤقتة بنعيشها لفترة وتنتهي وتبدأ حياة تانية، أما إذا كنتي عاوزة تعرفي الواقع الحقيقي، فأنا بس الوسيلة الوحيدة اللي ممكن تعرفك الواقع الحقيقي.

نظرت هالة إلى سيتالو نظرة باردة، وتوجَّهت إلى الرسم الموجود على الحائط ونظرت إلى الرموز المرسومة على الحائط، وبدأت في ترجمة الرموز:

– أنا أعرفك، سيدة الأهوال ذات الجدران العالية المسيطرة، سيدة الأهوال التي تنطق بالكلمات التي تصدُّ المفسدين، إيزيس الحبيبة.

ما إن انتهت هالة من قراءة الرموز الفرعونية وترجمتها التي يتوسطها اسمها على الحائط حتى بدأت تشعر بالصداع يغزو رأسها وعينيها، وأصوات همهمات تدوي في أذنيها كأنها ترنيمة لمجموعة من الكهنة يحملون أجراسًا ويترنمون بترانيم الصلاة، فأغمضت عينيها من شدة الألم، ووضعت يديها على أذنيها، ومالت برأسها حتى أسندته إلى الحائط.

اقترب سيتالو من هالة بهدوءٍ، ووضع يديه برفقٍ على كتفيها بلمسةٍ حانيةٍ، فشعرت هالة بالدفء والهدوء يتسلل إلى قلبها، والألم يسكن بالتدريج، والأصوات تهدأ رويدًا رويدًا حتى اختفت، وأدارها سيتالو بيديه لتصبح في مواجهته تمامًا، وفتحت عينيها لتجد عينيه وقد فاضتا بالشوق والسعادة، وارتسمت ابتسامة صافية على وجه سيتالو، وغمر الضوء وجهه، كأن الشمس تُلقي أشعتها عليه ليعكس نورها، وقال لها بصوتٍ يحمل عُمرًا من المودة والمشاعر:

– أنا عارف انك تعبانة ومرهقة وعندك أسئلة كتير عاوزالها إجابات بس مش هاينفع دلوقتي، تقدري ترتاحي دلوقتي ونكمل رحلتنا بعدين.

استجمعت هالة قُوتَّها، وشعرت بأنها داخل معركةٍ ذهنيةٍ تكاد تخسرها بامتياز، فحاولت توجيه ضربةٍ قاضيةٍ لسيتالو لتقود دفة المعركة، وتقلب الأمور لصالحها، فنظرت في عينيه مباشرةً، وقالت:

– كان مؤلم ليك جدًّا موت ابنك قدام عينيك.

تبدلت ملامح سيتالو فجأة، وتحولت نظراته إلى نظرات غاضبةٍ، وأجاب في عصبية واضحة:

– الموت؟! الموت مش شيء سيئ، إحنا مابنخافش من الموت نفسه لأنه مجرد لحظات بسيطة من الألم يمكن أقل من ألم ولادة روح جديدة إنما إحنا بنخاف من المجهول بعد الموت. ماحدش يعرف فيه إيه بعد الموت، حتى العقائد والديانات كلها اتكلمت عن الحساب والجحيم والفردوس، إنما ماقلتش هانكون فين في اللحظة اللي بعد خروج الروح، بنسمع عن ضوء ونفق، إنما مافيش حد يقدر يجزم إن ده هايحصل أو يقدر يوصف شعورك إيه بعد خروج الروح من الجسد، بعد التحرر من حدود العظام والجسد اللي بيحتوي روحك، هذا الوعاء الهش لما ينكسر ماذا سيحدث لك.

مش هانكر إني حسيت بالألم لفقد ابني، ولكن ألم من نوع خاص، ألم البحث عن شيء فقدته ومش عارف فين مكانه بالتحديد علشان تعيده إليك مرة أخرى. أنا ببحث عنه فقط، ومتأكد من قدرتي على إعادته مرة أخرى.

ثم نظر إليها في خبث مُغلَّف بالمودة وأكمل قائلًا:

– أعتقد إنك مريتي بنفس التجربة، وأعتقد برضه إن عندك نفس القناعة بقدرتك على إعادتها مرة أخرى. واضح إن الإرهاق مأثر عليكي، زي ماقلتلك ارتاحي ولسه رحلتنا طويلة.

شعرت هالة كأنها تحت تأثير مخدر قوي سَلَبَ منها إرادتها، فلم تنطق بأي كلمةٍ، بل هزَّت رأسها في هدوء بالموافقة، وخرجت من الغرفة متجهةً

إلى منزلها، ولم تشعر بأي شيء إلا وهي بداخل غرفتها على سريرها، كأنها انتقلت إلى هناك في غمضة عين أو بسحر عظيم نقلها إلى هناك دون أي اعتبارات للزمان والمكان.

تجولت هالة بنظراتها في أنحاء الغرفة، كأنها تريد التأكد أنها في غرفتها التي لا تعرف كيف انتقلت إليها من غرفة سيتالو، فما زالت كلماته يُدوي صداها بداخل أذنيها، ولكنها لم تهتم كثيرًا لذلك، ربما بفعل التعب والإعياء الذي تمكنَّ من جسدها وروحها، فأغمضت عينيها في تعبٍ ويأسٍ ونامت.

رحَّب الدكتور منتصر بالمقدم عزت بعدما دخل إلى حجرته ووجده جالسًا على المقعد المقابل لمكتبه الخشبي، وجلس على الكرسي المقابل له، وبدأ المقدم عزت في الاستفسار من الدكتور منتصر عن علاقته بالدكتور أيمن الألفي، وفترة عمله بالمصحة، وعلاقاته بالمرضى وزملائه الأطباء.

بدأ الدكتور منتصر في سرد كل ما يتعلق بالدكتور أيمن وعلاقته به، وأنه كان أحد تلاميذه المتفوقين دراسيًّا، بل إن الدكتور منتصر كان يراه امتدادًا له، وأنه كان يعتبره ابنًا له، وبعد تخرُّجه طلب منه أن يعمل بالمصحة لتزداد خبراته، ويساعده في رسالة الدكتوراه التي يُشرف عليها الدكتور منتصر بنفسه.

كان المقدم عزت يستمع في اهتمام، ويُدوِّن بعض الملاحظات في ورقةٍ أمامه، إلا أنه توقَّف عن تدوين الملاحظات، ورفع القلم من فوق الأوراق، ووضعه جانبًا، وأرجع ظهره على المقعد حينما بدأ الدكتور منتصر يتحدث

عن سفر الدكتور أيمن لحضور مؤتمر طبي لمدة أسبوع بالمملكة المغربية، إلا أنه بعد انتهاء المؤتمر مكث الدكتور أيمن في المغرب لمدة ستة أشهر كاملة، انقطعت خلالها الاتصالات تمامًا بينه وبين الدكتور منتصر، وعند عودته من المغرب بدا عليه بعض التغيُّر في الأفكار والتصرفات، فكثيرًا ما كان يقوم ببعض التصرفات، ثم يُنكر القيام بها، وكذا حديثه عن تناسُخ الأرواح، وقراءته المستمرة في ذلك العلم، ونظرًا لأن هذه الأمور تعد من قبيل الأفكار الشخصية التي لم تنعكس على عمله مع المرضى، حتى التصرفات التي كان ينكرها لم تكن ذات أهمية؛ لذا لم يتدخل الدكتور منتصر سوى مرة واحدة تحدث فيها مع الدكتور أيمن عن تلك الأفكار، وعن فترة غيابه في المغرب، إلا أن الدكتور أيمن طلب عدم التحدث معه في الأمر، وأن الأهم هو قيامه بعمله على أكمل وجهٍ دون أي تقصير.

حتى بدأ الدكتور أيمن في علاج نفيسة، وكانت الأمور في البداية تسير على ما يُرام، حتى بدأت حالة نفيسة في التدهور بسبب الأدوية الخاطئة التي أنكر الدكتور أيمن أنه هو مَن كَتَبَها لنفيسة، وأُجريَ تحقيقٌ داخليٌّ أثبت قيام الدكتور أيمن بكتابته لتلك الأدوية، وبعدها ترك الدكتور أيمن العمل بالمصحة، وانقطعت أخباره عن الدكتور منتصر.

كان المقدم عزت ينصت باهتمام بالغ لحديث الدكتور منتصر رغم شعوره أن تلك المعلومات لم يستفد منها كثيرًا في التحقيق في مقتل الدكتور أيمن، فهو طبيب نابغ في عمله، وأفكاره هي أفكار شخصية لا تنشئ له عداوات

تؤدي إلى مقتله بتلك الصورة، وحتى تدهور حالة نفيسة التي كان يشرف على علاجها ليس هناك ما يربطه بقضية مقتله.

وطلب المقدم عزت الاطلاع على ملف التحقيق في واقعة الأدوية الخاطئة التي كان الدكتور أيمن يكتبها لنفيسة، ورغم حساسية تلك المعلومات، وأنها من أسرار المصحة والمرضى، فإن الدكتور منتصر اضطرَّ أن يُحضر الملف للمقدم عزت للاطلاع عليه، وكل ما استطاع أن يفعله الدكتور منتصر أن يطلب من المقدم عزت المحافظة على أسرار المصحة، وما يحويه الملف من معلومات وأحداث حفاظًا على سمعة المصحة خصوصًا بعد اهتمام الإعلام والصحف بحادثة مقتل الدكتور أيمن؛ نظرًا لبشاعة الجريمة، ووافق المقدم عزت على ذلك، وأخبر الدكتور منتصر أن كل اهتمامه منصبٌّ على حلِّ لُغز تلك الجريمة، واستأذنه أن يحتفظ بالملف لدراسته جيدًا، على أن يُعيده إلى الدكتور منتصر فور انتهائه من دراسته.

خرج المقدم عزت من المصحة مُتجهًا إلى مكتبه في مديرية الأمن وهو يفكر في كل ما قاله الدكتور منتصر، ويحاول إيجاد أي خيطٍ يساعده على حل لغز تلك القضية، واستقل سيارته ووضع الملف على المقعد المجاور له بالسيارة وانطلق.

كان المرور مزدحمًا جدًّا في ذلك اليوم من أيام شهر يوليو الحارة، والشمس تلهب أسفلت الطريق، وبدأت قطرات العرق تنساب على جبين المقدم عزت، فأغلق زجاج السيارة، وأوقد المكيف ليستعين به على الحر القائظ والطريق المزدحم، وبعد دقائق قليلة بدأ المكيف في العمل على

ترطيب الجو داخل السيارة، وبدأ المقدم عزت في الشعور بالراحة، إلا أنه بدأ يشم رائحة أسلاك تحترق، وبدأت الرائحة تزداد شيئًا فشيئًا، ثم بدأ دخان يخرج من مكيف السيارة بالتدريج حتى امتلأت السيارة بالدخان، فأوقف المقدم عزت السيارة على جانب الطريق، وأطفأ المحرك، وحاول فتح زجاج السيارة إلا أنه لم يُفتح وظَلَّ مغلقًا.

عبثًا حاول المقدم عزت فتح الزجاج، إلا أنه فشل تمامًا، وظل الدخان يزداد داخل السيارة رغم إطفاء المحرك وجهاز التكييف، فحاول المقدم عزت فتح الباب للنزول من السيارة، ولكن الباب أيضًا لم يُفتح.

ظَلَّ المقدم عزت يحاول فتح الباب بالقوة، والباب يرفض أن يُفتح، والدخان يتصاعد داخل السيارة وخارجها من المحرك؛ مما أدى إلى تجمُّع المارة الذين شاهدوا الدخان والسيارة والمقدم عزت بداخلها، وتقدَّم بعضهم لمحاولة فتح الباب، ففشلوا، فأحضر أحدهم حجرًا كبيرًا وهشَّم الزجاج الأمامي للسيارة، وأخرجوا المقدم عزت منه، وابتعدوا به قليلًا عن السيارة، وأحضر أحدهم الماء للمقدم عزت الذي بدأ في فَكِّ أزرار قميصه لاستنشاق الهواء وشرب الماء، وإذ هو يشرب حتى دوَّى انفجار داخل السيارة، وبدأت النار بالاشتعال بداخلها.

بدأ أصحاب السيارات الذين رأوا الانفجار في إحضار أجهزة الإطفاء للسيطرة على الحريق، إلا أن النار بدت كأنها أصرَّت على التهام السيارة بالكامل، فلم تنجح محاولات إطفاء الحريق، وأتت النار على السيارة بكاملها وبداخلها ملفُّ حالة نفيسة.

كانت هالة نائمة في غرفتها حينما وصل والدها إلى المنزل بعد نهاية عمله في المساء، فصعد إلى غرفتها، وفتح باب الغرفة ببطء؛ حتى لا يوقظها، وجلس بجوارها على سريرها وهي نائمة يُحدق إلى ذلك الوجه البريء، وجه ابنته الوحيدة، وقد أصبح وجهها شاحبًا بفعل الإجهاد والإرهاق النفسي الذي مرَّت به منذ وصولها إلى مصر، ومَدَّ يديه ليلمس شعرها، ففتحت عينيها في فزع وخوف، واعتدلت لتجلس على سريرها دفعةً واحدة خائفة، فربت والدها على رأسها بكل ما أوتي من حنان الأبوة ليطمئنها، فألقت نفسها في أحضانه خائفةً، جسدها يرتعد، فمسح بيديه على شعرها وظهرها، وهو يطمئنها أنه بجوارها، وأنها في أمان بين أحضان والدها، حتى هدأت نفسها قليلًا، ولكن كان الخوف والقلق قد تسرب إلى قلب والدها على ابنته الوحيدة، وتلك الحالة التي وصلت إليها.

لذلك أصرَّ والد هالة على أن يسافر هو وابنته إلى الساحل الشمالي لقضاء إجازة بضعة أيام عسى أن ترتاح هالة نفسيًّا وتبتعد عن كل تلك الأحداث التي أثرت فيها نفسيًّا جدًّا، وطلب منها تجهيز نفسها للسفر في الصباح الباكر، واتصل بسكرتيرته في العيادة لتأجيل أي مواعيد لمدة أسبوع.

وافقت هالة على السفر أمام إصرار والدها، بالإضافة إلى إحساسها فعلًا بالتعب والإرهاق النفسي واحتياجها الشديد إلى الابتعاد عن تلك الأحداث؛ لاستعادة نشاطها وحيويتها وقُدرتها على التفكير.

انطلق والدها بالسيارة في الطريق للساحل الشمالي، وهالة طول الطريق شاردة لا تتحدث كثيرًا، عيناها تتابعان الطريق في صمتٍ، والأشجار على

جانبي الطريق تمر أمامها بسرعةٍ، كأنها تسابق السيارة في اتجاه عكسي، حتى اقتربت السيارة من موقع الحادثة التي أودت بحياة أمِّها.

شعرت هالة أن السيارة تُبطئ في الحركة، وأن الزمن يعود بالوراء يومًا بعد يوم، وصوت أمِّها ينمو بداخل أذنها، فانسحبت دمعة ببطء لتجري حزينة على وجنتها، تلتها دمعة أخرى، فأخرى، حتى انهمرت الدموع من عينيها كخيوط المطر في ليلة شتاء باردة حتى لاحظ والدها وسمع صوت نحيبها الخافت، فأوقف السيارة على جانب الطريق ونظر إلى ابنته في أسًى ومد أطراف أنامله، ومسح دموعها بيديه وهو يقول:

– عارف إن شعور الحرمان من الأم صعب جدًّا عليكي يا هالة ولكن يا بنتي ده قضاء ربنا.

سحبت هالة منديلًا من علبة المناديل الموجودة على تابلوه السيارة أمامها، ومسحت دموعها وقالت بصوتٍ يحمل الكثير من الشجن وبقايا نحيب:

– الحرمان؟! أنا مش حاسة بالحرمان يا بابا، الحرمان بيحس بيه اللي حبيبه مش عايش جواه، وأنا ماما عايشة جوايا بروحها وصوتها وكل تفاصيلها، دي دموع الشوق ليها، وحشتني أوي يا بابا، وحشني حضنها أوي.

شعر الأب بقلبه يقطر حزنًا من حديث ابنته، ومدى مرارة فَقْد الأعزاء، فهو أيضًا يشعر بالحزن والألم والاشتياق، فوالدة هالة لم تكن زوجته فقط، بل كانت الزوجة والحبيبة والأم والصديقة، كانت نسيم الحياة في ليالي الصيف القائظة، ودفء الحنان في ليالي الشتاء الباردة، يقولون إن وراء كل عظيم

امرأة، أمَّا هو فيرى أن حول كل عظيم امرأة، فهي كانت خلفه حينما يشعر بالاحتياج لمن يقف في ظهره سندًا وعونًا، وكانت بجانبه حينما يحتاج إلى يدٍ يسند عليها، وأمامه لتمنع عنه أي أذًى أو شيءٍ يضايقه، كان وما زال يشعر بها وبروحها الطاهرة تدور حوله من كل الاتجاهات؛ لتصنع ذلك السياج الذي يحميه.

هو لم يقابل في حياته امرأة تشبهها أو حتى تقترب من منزلتها لديه، ولعل ذلك ما جعله عازفًا عن الزواج، فكيف يستبدل مكانة تلك المرأة بامرأة أخرى.

كثيرًا تمنَّى أن تعود إليه ولو لحظة واحدة يلقي رأسه بين أحضانها، ويطلق زفيرًا يحمل كل أشواق السنين، ويلف ذراعيه حولها ليضمها بكل عنف الاشتياق، ويقول: أوحشتني.

ولكن هيهات أن يعود الراحلون.

ذلك هو ما دار في خلده بعد رؤيته دموعَ ابنته وسماعه لكلماتها الرقيقة التي ألهبت كل ذلك الاشتياق لزوجته بداخله، ولكن على الجانب الآخر كان الأمل بداخل هالة يزداد يومًا بعد يوم من قُدرتها على فكِّ رموز كتاب الموتى الفرعوني، وإعادة والدتها للحياة كما تقول الأسطورة والطقوس بداخل الكتاب.

شعرت هالة بشعور والدها واشتياقه لأمِّها وحزنه عليها، فمدَّت يدها لتضعها على كتفه وضمته وهي تقول:

– مين عارف يا بابا، يمكن يجي يوم والغايب يرجع.

نظر إليها والدها وابتسم ابتسامة يائسة وهو يهزُّ رأسه، وهمَّ أن يُغير دفة الحديث إلا أن صوت هاتف هالة سبقه، فأمسكت هالة الهاتف، ونظرت مليًّا إلى رقم المتصل غير المسجل لديها على الهاتف، فوضعت الهاتف جانبًا، ولم تُجِب إلا أن رنين الهاتف المتصل دفعها للإجابة، فوجدت على الطرف الآخر المقدم عزت يطلب منها الحضور إلى مكتبه في مديرية الأمن لأمر مهمٍّ وعاجل، ورغم أن هالة أخبرته بأنها في الطريق إلى الساحل الشمالي لقضاء عدة أيام، فقد ألحَّ في حضورها سريعًا، وأن الأمر لا يحتمل التأجيل؛ فاضطرت معه هالة أن تطلب من والدها العودة إلى القاهرة مرة أخرى، وتأجيل السفر، ووافق والدها على مضض، واستدار بالسيارة في طريق العودة إلى القاهرة.

كان المقدم عزت في مكتبه وأمامه تقارير المعمل الجنائي والطب الشرعي يقلب فيها، ويقرأ ما تحتويه من معلومات ونتائج بكل ذهولٍ ويشعل سيجارة تلو الأخرى حتى امتلأت الغرفة بالدخان، فأشعل سيجارة جديدة، وقام من فوق مكتبه، وتحرَّك حتى فتح شباك الغرفة، ووقف ينظر منه على الفناء الخلفي للمديرية، ويستنشق الهواء حتى يملأ رئتيه عَلَّه يُجدد نشاط عقله لحل طلاسم تلك القضية التي تزداد تعقيدًا.

كانت الساعة تقترب من الثامنة، والشمس تغادر راحلة إلى مرقدها اليومي، وبدأت حراره الجو تهدأ قليلًا، ومراوح الغرفة تحاول في استماتةٍ طرد دخان السجائر خارج الغرفة من الشباك، حين سمع المقدم عزت طرقات على الباب فالتفت ليجد العسكري الواقف بالخارج يدخل إلى الغرفة ليخبره

بحضور الدكتورة هالة لمقابلته، فأشار إليه بإدخالها فورًا، وعاد إلى مكتبه ليجلس عليه.

رحَّب المقدم عزت بالدكتورة هالة، واعتذر لها عن إلغاء سفرها لأهمية الأمر، وبادلته هالة الترحيب، وأنها تُرحب بالإجابة عن أي شيء يساهم في حَلِّ لُغز مقتل الدكتور أيمن الألفي.

لم يطل الأمر كثيرًا حتى فتح المقدم عزت الأوراق التي أمامه، وأخبر الدكتورة هالة قائلًا:

– تقرير الطبيب الشرعي بيقول إن الدكتور أيمن تم حقنه بمخدر اسمه.. بنزوديازيبين.

شعرت هالة بالدهشة تجتاح عقلها، وغمرت كل ملامح وجهها، وهي تقول:

– ده مخدر موضعي مُهدئ وبيساعد في فقدان الذاكرة المؤقت. بيستخدم زي استخدام التنويم المغناطيسي، والمخدر ده أحيانًا بنستخدمه في عملنا لتهدئة حالات الهياج الخطرة لبعض المرضى.

هَزَّ المقدم عزت رأسه في أسًى وأكمل قائلًا:

–فعلًا ده اللي موجود في التقرير، بس الأغرب إن التقرير بيقول: إن اللي قتل الدكتور أيمن شق صدره وطلَّع قلبه وهو تحت تأثير المخدر ده، يعني الدكتور أيمن قلبه انتزع منه وهو صاحي ما اتقتلش الأول.

شعرت هالة ببشاعة الجريمة، وظهر الأسى الممزوج بالدهشة على وجهها، وهي تقول:

– وليه حد يعمل كده في الدكتور أيمن؟ ده قتل بدم بارد.

أكمل المقدم عزت حديثه:

– تقارير الطب الشرعي بتقول إن انتزاع القلب تم بوحشية شديدة، وتكسير لضلوع الصدر وتهتك للجسد لانتزاع القلب، كمان تقارير المباحث بتقول إن الدكتور أيمن طبيب ناجح في شغله ومالوش أعداء، وحتى وإن كان لديه بعض العلاقات النسائية فده شيء طبيعي لدكتور شاب في سنه، وناجح ومش متزوج بس، الأهم هو تقرير المعمل الجنائي اللي بيقول إن باب العيادة سليم ومافيش أي آثار لعنف داخل العيادة، إنما فيه نقطتين مهمين جدًّا في تقرير المعمل الجنائي.

قام المقدم عزت من فوق مكتبه، واتَّجه إلى المقعد المواجه للدكتورة هالة، وجلس عليه مقابلًا لها تمامًا، وأكمل حديثه:

– النقطة الأولى، ورقة عليها رموز فرعونية، ورسوم لما خبراء المعمل الجنائي عرضوها على خبير آثار قال إنها من كتاب الموتى الفرعوني، وإنها تصوير لمحاكمة مخلوق اسمه (آني) على إيد أوزوريس وإيزيس. أما النقطة التانية فهي جواب كاتبه الدكتور أيمن بخط إيده مُوجَّه ليكي بيقول فيه...

ومَدَّ المقدم عزت يده إلى كيس موجود فوق المكتب الخشبي وفتحه برفقٍ، وأخرج ورقة بداخله، وبدأ في قراءتها بصوتٍ عالٍ:

– عزيزتي الدكتورة هالة

الخطر شديد جدًّا، ولن يقدر أي شخص سواكِ على إيقافه، إنه يرغب في إعادة الماضي بكامله، وعليكِ مُواجهته، وسلاحك الوحيد هو قلادة المغرب.

التوقيع

د. أيمن الألفي

شعرت هالة بصاعقة تضرب أوصالها، فتعرَّقت يداها وجبينها، وأخرجت منديلًا ورقيًّا من حقيبة يدها لتمسح العرق المتصبِّب منها، وشعر المقدم عزت بتوترها، فقام وجلس على مقعده خلف مكتبه، ودقَّ الجرس، وطلب من العسكري المُكلَّف بباب حجرته إحضار ليمون لتشربه الدكتورة هالة لتهدأ قليلًا.

هدأت هالة قليلًا بعد أن شربت بعضًا من عصير الليمون؛ مما دعا المقدم عزت إلى استكمال حديثه:

– أنا محتاج منك يا دكتورة تفهميني إيه موضوع الخطاب اللي سايبه الدكتور أيمن ليكي، وإيه حكاية قلادة المغرب، وإيه معنى الورقة اللي عليها رموز من كتاب الموتى.

وضعت هالة كوب الليمون من يدها على المكتب، وأخذت نَفَسًا عميقًا، ونظرت إلى المقدم عزت وقالت:

– سأحكي لك كل شيء بالتفصيل.

بدأت هالة في سرد الأحداث منذ وصولها إلى القاهرة والتحاقها بالعمل في مصحة الدكتور منتصر، والملف الأحمر، وسيتالو، والقلادة التي حصل عليها والدُها من ابن إحدى المريضات المغربيات التي عالَجها والدُها، وزيارتها للدكتور أيمن بشأن نفيسة، وحتى آخر اتصال بينها وبين الدكتور أيمن، الذي طلب مقابلتها بشكلٍ عاجلٍ، ولكنها وصلت لتجده مقتولًا.

كان المقدم عزت ينصت إليها في اهتمام كبير، ويُدوِّن بعض الملاحظات على الأوراق التي أمامه، وما إن انتهت حتى عاد يسألها قائلًا:

– وإيه علاقة ده بالورقة اللي عليها رموز من كتاب الموتى الفرعوني؟

فاستكملت هالة حديثها:

– كتاب الموتى أقدم كتاب انتهى إليه علمنا، كُتب في عصر بناء الهرم الأكبر، ولا تزال نسخة منه محفوظة في المتحف البريطاني. فيه دعوات للآلهة وأناشيد وصلوات، ثم وصف لما تلاقيه أرواح الموتى في العالم الآخر من الحساب، وما يلحقها من عقاب وثواب.

وجد علماء الآثار مجموعة من الصلوات الجنائزية التي كان معظمها قد كُتب على ورق البردي، كان قدماء المصريين يضعونها في مقابرهم مع المتوفَّى، فأطلق علماء الآثار على هذه الصلوات اسم كتاب الموتى، ولكن اسمه الذي أطلقه قدماء المصريين عليه هو "الخروج في ضوء النهار"، والغرض الأساسي الذي كان قدماء المصريين يضعون هذه الصلوات والدعوات من أجله، هو إرشاد روح المتوفى في رحلته في العالم الآخر.

ويصف الكتاب الأماكن المختلفة التي تعبرها روح المتوفَّى، وكذلك المواقف والكلام الذي يقال لحرس الأبواب، وصيغ إبطال شر أعداء الضياء والنور، وكان على المتوفَّى أن يتلو وِردًا يتخذ فيه شخصية أي إلهٍ كحام له، ليكتسب صفاته، لأنه كان يخاف من الأرواح الشريرة أن تأخذ فمهً فلا يستطيع التحدث مع الآلهة، أو أن تسلب منه قلبه، أو أن تقطع رأسه، أو أن تجعله يضلَّ طريقه، لذلك كان عليه تلاوة هذه الأوراد أو التعاويذ لتساعده على اتقاء شر الأفاعي، والذباب الهائل، وكل أنواع المساوئ التي تسعى لإهلاكه في العالم الآخر، وذلك حتى يستطيع أن يصل إلى الأبواب التي ستوصله إلى الحياة مرةً أخرى في العالم الآخر.

ومن أشهر فصول كتاب الموتى، الفصل السابع عشر، والفصل ١٢٥ والذي يمثل محاكمة المتوفى في العالم الآخر، حيث يمثل الإله أوزوريس ومعه ٤٢ قاضيًا ومجموعة من الآلهة، وهم يزنون قلب المتوفَّى لمحاسبته على أعماله، ويذكر المتوفَّى الأعمال الخيِّرة التي أدَّاها بها.

وكان نساخ قدماء المصريين ينسخونها على أوراق البردى، ويزيدون عليها بعض الرسوم الملونة، وقد عثر على نسخ كثيرة جدًّا في القبور التي اكتشفها علماء الآثار المصرية، وكان العالم الألماني ليسيوس هو أول مَن ترجم كتاب الموتى، ونشر ترجمته سنة ١٨٤٢م.

ولكن الأهم أنه توجد أسطورة بتقول إن كتاب الموتى فيه تعويذة وصلاة جنائزية ليها القدرة على إعادة المتوفي للحياة مرة أخرى ودي بتتم بعد عملية وزن قلب المتوفَّى.

لمعت عينا المقدم عزت واتسعتا عن آخرهما وهو يهتف قائلًا:

– أعتقد كده لقينا طرف الخيط إن اللي قتل الدكتور أيمن وانتزع قلبه شخص مؤمن بقدرة كتاب الموتى على إعادة شخص للحياة والشخص ده عزيز عليه جدًّا لدرجة إنه يقتل الدكتور أيمن وينتزع قلبه علشان أسطورة هو مؤمن إنها صحيحة، ومن حديثك عن المرضى في المصحة أعتقد إن الشخص ده هو المريض سيتالو.

ثم قام المقدم عزت ممسكًا بالقلم يعبث به بين أصابعه، وبدأ يتحرك في الغرفة، وهو يُكمل حديثه:

– وبما أن سيتالو موجود في المستشفى فأكيد هو استخدم شخص بره المستشفى يساعده وينفذ الجريمة، وحسب كلامك إنه عالم في علم التخاطر والاستبصار، فهو يقدر بسهولة يسيطر على شخص ويوصله أوامره ويخليه ينفذ جريمته، بس يا ترى مين الشخص ده؟

كادت هالة تهتف باسم الممرضة إلهام التي رأتها أسفل عيادة الدكتور أيمن في يوم مقتله، ولكن شعرت بأن هناك مَن يلجم لسانها عن الحديث ويمنعها من ذكر اسمها، وبدأت الدنيا تدور فجأة في عيني هالة رويدًا رويدًا، ثم ازدادت سرعة الدوران، وشعرت كأن يدًا تمتدُّ لتسحب روحها وأنفاسها، فازدادت سرعة أنفاسها، وتثاقلت جفونها جدًّا، والضوء يخفت تدريجيًّا حتى انطفأت الأنوار، فوقعت من فوق الكرسي وأغمضت عينيها.

فتحت هالة عينيها فوجدت نفسها في سريرها وحولها أبوها وطبيب يجلس على سريرها، والدادة أم هاني التي اكتسى وجهها بالحسرة على حالة هالة، وسمعت الطبيب يطمئن والدها على حالتها، وأنها تحتاج فقط للراحة والبُعد عن أي مؤثرات تثير أعصابها، وإلا حدث ما لا يُحمد عُقباه.

رافَقَ والدها الطبيب للخارج، وجلست أم هاني بجوارها تُقبل رأسها وهي تقول لها:

– حمد لله على سلامتك يا بنتي، كان مستخبيلك فين كل ده؟!

لم تكن هالة تعرف تحديدًا ما جرى، فكل ما تذكره هو أنها كانت في مكتب المقدم عزت يتحدثان عن القضية، وفجأة وجدت نفسها في سريرها وبجوارها الطبيب، وقبل أن تنطق بأي كلمة دخل والدها إلى حجرتها، وطلب من أم هاني إعداد الطعام، وحينما خرجت جلس والد هالة بجوارها ليطمئن عليها، وأخبرها أنها تعرضت للإغماء في مكتب المقدم عزت الذي اتصل به واتصل بالإسعاف، ورغم نصيحة طبيب الإسعاف بنقلها للمستشفى فقد أصرَّ على إحضارها للمنزل واستدعاء الطبيب ليطمئن عليها، وأردف قائلًا:

– مافيش خروج من البيت تاني إلا لما تستعيدي صحتك وذهنك يصفي خالص، انتي كده بتنتحري.

ابتسمت هالة لأبيها، فهي تعرف مدى خوفه وقلقه عليها، ولكن كان بداخلها شيء يدفعها لمواصلة حل تلك الألغاز التي تدور حولها بأقصى سرعة، فأمسكت يد والدها وهي تقول:

– الموضوع أكبر من الإجهاد يا بابا، فيه شخص اتقتل، وأنا عندي إحساس قوي إن أنا الوحيدة اللي هاقدر أحل اللغز ده، خصوصًا إني قابلت الدكتور أشرف الحوتي أو سيتالو زي ما بيسموه في المصحة.

اقترب منها والدها ووضع يده على رأسها يمسح شعرها في حنانٍ، وقال:

– المهم دلوقتي أنا عاوزك ترتاحي خالص، وأنا اتصلت بالمقدم عزت طمنته عليكي واستأذنته إنك ترتاحي كام يوم، ولو محتاج منك أي استفسار يأجله شويه لغاية ما تستردي صحتك.

ثم قام من جوارها، وهو يطلب منها أن ترتاح قليلًا حتى تُحضر لها أم هاني الطعام، فهزت هالة رأسها في استكانةٍ، فهي بالفعل تشعر باحتياجها إلى الراحة، وخرج والدها وأطفأ أنوار الغرفة ليتركها تستريح. ولكن هيهات أن يستريح القلب الذي يحمل الظنون والشكوك والتساؤلات.

كان الظلام يعمُّ أنحاء الغرفة، والغموض يملأ أركان روح هالة، فالخيوط كلها تتشابك لدرجة التعقيد، ولا تستطيع حَلَّ عُقدةٍ واحدةٍ منها، فتحولت الأفكار كسهام حادة تَخِزُ عقلها بلا هوادة وهي تفتح عينيها بلا حراكٍ مستسلمة حتى لمحت بصيص ضوء يظهر في الغرفة ناحية الجدار المواجه لسريرها، فاعتدلت، وأسندت ظهرها على رأس السرير، ونظرت باتجاه الجدار.

كان الضوء ينبعث من درج التسريحة الموجودة بغرفتها وهو يهتز كأن به شيئًا ما يجاهد للخروج.

شعرت هالة بالرعب لحظاتٍ، وتصاعدت دقات قلبها، لكنها استجمعت شجاعتها وقامت وتقدَّمت بخطوات بطيئة حذرة ناحية درج التسريحة، وكلما تقدَّمت خطوة ازداد اهتزاز الدرج حتى مدَّت يدها بحذرٍ شديد، وفتحت الدرج، فانفجر الضوء يعمُّ أرجاء الغرفة، فأشاحت بوجهها جانبًا من شدة الضوء الذي بدأ يخفُت شيئًا فشيئًا، ونظرت هالة بداخل الدرج لتجد مصدر الضوء كتاب الموتى الفرعوني، فأمسكت بالكتاب، وأخرجته، ولكن الكتاب ما إن خرج من الدرج حتى انتفض من بين يديها، ووقع على الأرض مفتوحًا، وانطلقت من وسطه أشعة ضوء امتدت لسقف الغرفة، وتجمعت بجوار بعضها بعضًا، حتى كوَّنت حائطًا من الضوء، وظَهَرَ في منتصف حائط الضوء هذا باب يُفتح ببطء شديد، كأنه يؤدي إلى المجهول.

كان حائط الضوء يتشكَّل والباب يُفتح، وهالة واقفة بلا حَراكٍ كتمثال صامت من الصدمة، عيناها جاحظتان مندهشتان، وملامح وجهها باردة من الرعب، وعدم التصديق، فهي لا تعرف إن كان هذا وهمًا أو حلمًا أو حقيقة، حتى بدأ صوت خافت يهمس في أذنها بهمهمات، ويرتل في نغمات جنائزية بصوت رخيم وقوي.

– أنا أعرفكِ، أعرف اسمك، اعرف اسم حارسك، سيدة الأهوال ذات الجدران العالية المسيطرة، الباحثة عن إحياء الماضي، فلتتقدمي لنعمل معًا

على إحياء القدر، تقدمي يا ذات الهِمَّة الكبيرة، هذه البوابة السرية فُتحت لكِ لأن الوقت قد حان لكشف الحقيقة.

شعرت هالة كأن روحًا أخرى تتلبَّسها، وتغطي جسدها من أخمصي قدميها حتى رأسها، فقاومت في البداية حتى خارت قوتها، فاستسلمت لتلك الروح بداخلها حتى تملَّكت عقلها وجسدها بالكامل، فانتصب جسدها في كبرياء وعظمة، وارتفع رأسها في شموخ الملوك، وبدأت تخطو بخطوات واثقةٍ حتى تعبر ذلك الباب في منتصف حائط الضوء.

ما إن عبرت الباب حتى وجدت نفسها بداخل قاعة امتلأت جدرانها بالرسوم الفرعونية، وفي أركانها الأربعة أربعة ثعابين، كأن كُلًّا منها يرمز إلى اتجاه من الاتجاهات الأربعة، وفي منتصف الغرفة مائدتان عليهما بعض القرابين، وأمامهما شخص بملابس الفرعون الملكية، وتاجه الذهبي على رأسه، وصولجان المُلك في يديه، جاثيًا على ركبتيه يبتهل بكل خشوع:

– أيها السيد، أنت رب الحق والعدل، رب الأبدية، خالق ما لا يفنى، لقد أتيتُ إليك لتحضرها لي لتعرف الحقيقة، لقد حان الموعد.

تقدَّمت هالة بخطواتٍ بطيئةٍ واثقةٍ كملكةٍ تخطو في بهو عرشها، حتى وقفت خلف هذا الملك الراكع، ووضعت أنامل يدها اليُمنى على كتفه، فأدار رأسه مبتسمًا، ونظر إليها في إجلالٍ وتقديرٍ، وأمسك يدها وقبَّلها، فأومأت برأسها إيماءة بسيطة، فوقف بجانبها، ووجهاهما للمائدتين، ورفع الفرعون يده اليمنى عاليًا، وقبضها وبسطها ثلاث مراتٍ، فتحوَّلت القاعة

إلى غرفة سيتالو في المصحة، فشعرت هالة بتلك الروح التي تلبَّستها، وقد انسحبت منها فجأةً، ولم يتبقَّ سوى بعض الدوار البسيط في رأسها، ونظرت بجانبها فوجدت سيتالو واقفًا مبتسمًا، فأدارت رأسها لتنظر في أنحاء الغرفة، ثم نظرت إليه ثانيةً قائلة بصوت قد أصابه الوهن:

– ده حلم؟

نظر سيتالو إليها والابتسامة لا تُفارق وجهه وأمسك يديها برفقٍ، وقال:

– قلتلك قبل كده أنا دليلك لرؤية الحقيقة.

شعرت هالة بالتعب واليأس والإرهاق يعصف بكل جسدها، بل امتد ليعصف بروحها، فانهارت على الأرض جالسةً تضع وجهها بين يديها وهي تهتف:

– ده حلم، أكيد حلم! انت مخادع، انت اكيد بتخدعني، كل ده حلم ووهم، كل ده حلم ووهم.

ظلت هالة تصرخ وتردد تلك الكلمات بصوتٍ عالٍ حتى أُضيء نُورُ غرفتها، وشعرت بوالدها يحتضنها وهو يهتف باسمها:

– هالة، هالة، فوقي يا هالة، مالك يا بنتي؟

كانت هالة مُلقاةً على الأرض، والعرق يُبلِّل وجهها وجسدها بالكامل، وترتجف بشدة، فاحتضنها والدُها وهو يبكي، وساعدها على الوقوف، ثم

حملها ليضعها برفق على سريرها، وجلس بجانبها ليطمئن قلبُها، وهي تنظر إليه غير مستوعبةٍ لما يحدث، حتى بدت كأنها فَقَدَت القدرة على النطق.

كان الصباح بعيدًا جدًّا في هذه الليلة، كأنه أعلن العصيان، وقرَّر عدم الخروج، والدقائق تمرُّ طويلة وحادة على عقل هالة وقلبها.

جسدها في أحضان والدها، لكن روحها شاردة في الفضاء الأسود تبحث عمن يريحها. كانت تشعر كأنها دخلت ثقبًا أسود بين الحقيقة والوهم. تنظر إلى وجه والدها والدموع ترسم خطين متوازيين على وجهه، وبداخل عينيها آلاف الأسئلة، لكن يعجز لسانها عن النطق بحرف واحد منها.

وأخيرًا أذعن الصباح للسُّنة الكونية، وخرج لتضيء أشعة الشمس جنبات الغرفة تدريجيًّا، ومع نسمات الصباح وضوئه كان باب غرفتها يُفتح سريعًا لتدخل عمَّتُها والذعر والقلق يملآن ملامح وجهها، وتكاد تعدو في اتجاه جسد هالة لتحتضنها وتُقبِّلها في كل وجهها ورأسها وتنتزعها من أحضان والدها لتأخذها بين أحضانها.

تنهَّد والد هالة في ارتياحٍ كأنه وجد مَن يُقاسِمه عبء ما يحدث، وابتسم لأخته في مودةٍ قائلًا:

– حمد لله على السلامة.

فأجابت في لهفة الأم المكلومة على ابنتها:

– ايه اللي حصل يا محمود؟

أجاب والد هالة في يأسٍ وحُزن:

– يااااه دي حكاية طويلة، انتي إيه اللي أخَّرك في النزول إلى مصر؟

فأجابت وهي تمرر يدها برفق على خَدِّ هالة، وتنظر إليها بكل أسًى وحزن:

– طارق حصلتله مشاكل في الشغل، وأجلنا السفر كذا مرة، وفي الآخر قررت إني آجي لوحدي لأني ما أقدرش أبعد عن هالة أكتر من كده، زي ما يكون قلبي كان حاسس إنها محتاجالي.

تحرَّك والد هالة من جانبها ليقف بجوار سريرها وهو ينظر إلى هالة في حزن عميق قائلًا:

– هي فعلًا محتاجالك، أسيبك بقى ترتاحي وتقعدي معاها وتشبعي منها يمكن ده يريح أعصابها.

خرج والد هالة، وبقيت عمَّتُها بجوارها تضمُّها إلى حِضنها، فشعرت هالة بالأمان قليلًا، ونامت عيناها.

مَرَّ يومان حتى بدأت هالة في التحسُّن تدريجيًّا، ولعل وجود عمَّتها بجوارها، والمهدئات التي تتناولها قد ساهما في استعادتها بعضًا من قوتها الداخلية، ورباطة جأشها، وفي اليوم الثالث طلبت هالة من عمَّتها أن تتناولا طعام الإفطار في حديقة الفيلا، فأعدت أم هاني الدادة طعام الإفطار وجلست هالة وعمَّتها يتناولان الإفطار، وقد بدأ وجه هالة في استعادة قليلٍ من نضارته، وظهر هذا جليًّا، وعمَّتها تُدلِّلها كطفلةٍ صغيرة، وتضع الطعام

بيدها في فَمِها، فارتسمت ابتسامة صافية على شفتيها، أتبعتها هالة بالحديث إلى عمَّتها بصوت هادئ:

– أنا بقيت كويسة يا عمتو، وأعتقد بقى إني لازم أرجع شغلي.

أجابت عمَّتها في استغراب شديد:

– شغل، شغل إيه يا هالة انتي هاترتاحي الشهر اللي هاقضيه في مصر وترجعي معايا أمريكا تاني.

أردفت هالة تكمل حديثها بالهدوء والابتسامة نفسها لتزيل الانزعاج من عقل عمَّتها:

– أوعدك يا عمتو أول ما أخلص الشغل اللي ارتبطت بيه في المصحة، هافكر في موضوع إني أرجع أمريكا تاني ده.

ابتسمت عمتها ابتسامة واسعة، ووضعت قطعة من الطعام في فم هالة، وهي تجيب:

– سبحان الله يا هالة، طريقتك وكلامك وابتسامتك كلهم المرحومة والدتك.

شعرت هالة بالحنين لوالدتها فقالت:

– وحشتني أوي يا عمتي، وساعات بحس إن بابا كمان اشتاق ليها جدًّا.

ثم نظرت إلى عمَّتها بحبٍّ وتساؤلٍ قائلةً:

– أكيد بابا كان بيحبها أوي علشان كده انا طلعت زيها بالظبط.

ابتسمت عمتها في مودةٍ وأجابت:

– بيحبها بس، أبوكي كان بيعشق والدتك يا هالة، كانت الشمس اللي منورة قلبه وحياته، ماكانش بيستحمل يغيب عنها يوم واحد، ولو هيسافر مؤتمر أو شغل كان بيصر إنه ياخدها معاه، العيلة كلها كانت بتحسدهم على الحب اللي بينهم، وأكبر دليل إنه مارضيش إنه يتجوز بعد ما ماتت لأنه ماكنش متخيل حد ينام مكانها في حضنه أو يشاركه سريره غير والدتك الله يرحمها.

شعرت هالة بالاشتياق إلى والدتها يجتاح قلبها وعقلها وجسدها، وتمنَّت لو أنها أمامها في تلك اللحظة لترتمي بين أحضانها، وتُعطر أنفاسها برائحة والدتها، وتمسح وجهها في صدرها لتُعيد إليه نضارته وسعادته، وتلف ذراعيها حول جسدها لتحتضن العالم كله، فانطلقت الكلمات رغمًا عنها كأنها تخرج من هذا القلب الذي أتعبه الحنين والشوق.

– أنا عمري ما حسيت إني مش هاشوفها تاني، دايمًا عندي إحساس إنها موجودة في مكان ما وهاترجع، ساعات بحس إن روحها طايرة حواليا بتناديني وبتمد إيدها لإيدي علشان أمسكها وأشدها علشان ترجع تاني، أكيد هاترجع يا عمتو، أكيد هاترجع.

ارتبكت عمَّتها بشدةٍ، واهتزَّ كوب العصير الذي تمسكه في يدها، وتساقطت منه قطرات على ملابسها، فهبَّت واقفة وهي تقول:

– ادعيلها بالرحمة يا حبيبتي، ادعيلها بالرحمة.

ثم نظرت إلى ملابسها وعليها قطرات العصير:

– شفتي! أدي البلوزه باظت، أنا هاروح أغير هدومي وأرجعلك تكوني خلصتي فطار.

شعرت هالة بالاشتياق يغزو قلبها مرةً أخرى، فشردت ثانيةً تُفكر: هل هناك بالفعل طريقة لإعادة والدتها إلى الحياة؟ هل يمكن ذلك؟ هل هناك من يستطيع مساعدتها في ذلك الحلم؟

وبعد لحظات كانت قد اتخذت قرارًا بمقابلة سيتالو مرة أخرى.

حاولت عمَّتها كثيرًا إثناءها عن الخروج وللذهاب إلى العمل، ولكن هالة أصرَّت وتعلَّلت لعمتها أن هناك بعض الأمور تحتاج أن تُنجزها بشدةٍ تتعلق بصحة المرضى بالإضافة إلى أنها ستعود سريعًا، وفي النهاية وافقت عمتها على مضضٍ.

صعدت هالة إلى غرفتها لتبديل ملابسها، ولكنها شعرت بشيء ما يجذبها نحو قلادة عين حورس الموجودة بعلبة جواهرها، وشيء آخر يحاول منعها بقوةٍ من الوصول إليها، لكنها في النهاية قررت أن تفتح علبة الجواهر وتمسك بالقلادة لتضعها بداخل حقيبة يدها.

كان الطريق من المنزل إلى المصحة قصيرًا جدًّا، كأن الطريق يُطوى تحت عجلات السيارة، ولكن هالة كانت تشعر أيضًا أن هناك من يراقبها وينظر إليها، بل إنها شعرت أن هناك أنفاسًا تصاحبها في السيارة.

وما إن وصلت إلى المصحة وفي طريقها إلى غرفة سيتالو مرت بغرفة التمريض، وسمعت صوتًا يهمهم في انتظام يخرج من الغرفة، فدفعها الفضول للاقتراب من باب الغرفة، واسترقت السمع، فسمعت صوت إلهام وهو يتمتم:

– المجد لك أيها الإله العظيم، لقد أتيتُ إليك وأنا أعرف اسمك، لقد أهلكتُ الشر من أجل تقديم القربان إليك، أقسم أني خالية من الشرور، لقد غسلتُ ذنوب هذا القلب في البر الشرقي للنيل ليتطهر وتحفظه لحين تقديمه إليك، المجد كل المجد للقلوب التي أنهكها الفِراق، وأوجعها الاشتياق.

فتحت هالة الباب دفعة واحدة، لكنها وجدت الغرفة خالية ليس بها أحد، نظرت هالة في أنحاء الغرفة، ثم هزَّت رأسها يمينًا ويسارًا في استغرابٍ، وتنهدت في يأس وأقفلت باب الغرفة ثانيةً، وأكملت طريقها.

وفي الممر المؤدي إلى غرفة سيتالو فوجئت هالة بالممرضة إلهام قادمة من اتجاه غرفة سيتالو، فتوقفت لتحدثها، ولكن إلهام تجاوزتها، كأنها لا تراها، فنادتها أكثر من مرة، ولكن إلهام تجاهلتها تمامًا، كأنها لا تسمعها.

تابعت هالة إلهام وهي تمشي في الممر متجاهلةً نداءها المتكرر عليها، حتى غابت عن ناظريها، فهزَّت رأسها في اندهاش، وأكملت طريقها في اتجاه الغرفة.

دخلت هالة غرفة سيتالو فوجدته جالسًا القرفصاء، مسندًا ظهره على الحائط مبتسمًا، كأنه كان في انتظارها، وبادرها قائلًا والابتسامة لا تُفارق وجهه:

– ماردتش عليكي لأنها مش شايفاكي ولا سمعاكي، لأنك مش هنا.

جاهدت هالة للحفاظ على هدوئها، فهي تعلم أن سيتالو يحاول التلاعب بعقلها، فاستجمعت كل قوتها الداخلية لتتمكن من معرفة حقيقة ما يحاول فِعله معها، وماذا يريد منها، وأجابت في هدوء وهي تبتسم في سخرية:

– قصدك إنها تحت تأثير تنويم مغناطيسي مثلًا.

أطلق سيتالو ضحكةً عالية أتبعها قائلًا:

– أو ممكن يكون جسدك هو اللي هنا مش روحك وإلهام في حالة من الصفاء الذهني والنقاء اللي تخليها بره حدود الأجساد الفانية وبتشوف وتسمع الأرواح النقية فقط.

لم تهتز هالة أو تتعجب من حديث سيتالو هذه المرة، بل قالت في لهجةٍ تحمل الكثير من التحدي:

– ممكن أعرف بتعمل كل ده ليه؟ وإيه اللي انت عاوزة مني؟

انتفض سيتالو واقفًا وارتسمت كل ملامح الجدية على وجهه.

– الدايرة ماكنتش هاتكمل إلا بيكي، انتي بالتحديد، من غيرك كانت كل التضحيات اللي عملتها راحت هدر، أنا ضحيت بأغلى حاجة علشان أنفذ مهمتي.

نظرت هالة إلى سيتالو وهي لا تفهم شيئًا مما يقول، فاعتراها الصمتُ، فاقترب منها وأمسك بذراعيها، وأكمل قائلًا وقد امتلأ صوته بالعظمة:

– من آلاف السنين كانت الأرض كلها ملكي، الناس، الشجر، الحيوانات، الجمادات كلهم تحت أمري، كنت الفرعون، كنت أنا الإله، لغاية ما ظهرت الجماعات السرية الأمازيغية واستولت على ملكي وقلبت شعبي عليا.

فضلت روحي تتنقل من جسد حيوان لجسد نبات لجسد طائر غراب أسود منبوذ إلى أن قدرت أهرب من التجسيد وفضلت هايم بين العالم السفلي وعالمكم. وكان لا بد من الحصول على جسد فاني والسيطرة على روحه لاستكمال تنفيذ مهمتي في تجميع دايرة آلهة الحساب إلى أن وجدت الدكتور أشرف الحوتي.

إنسان فان، جسده ضعيف، ولكن عنده قدرة عقلية مبهرة، بدأت أساعده في الاهتمام والتعلم لعلم التخاطر والاستبصار، ووصل لمرحلة ماوصلهاش حد من البشر، وده طبعًا بفضل الأسرار اللي عرفتهاله وعلمتهاله، أصبح من غير ما يشعر نصف إله، ودي كانت الفرصة المثالية لفرض سيطرتي عليه لتنفيذ مهمتي المقدسة في استعادة ملكي وعرشي مرة تانية.

كان لا بد في البداية من إضعاف روحه، وجت الفرصة في تجربة الاستبصار والتخاطر اللي عملها مع ابنه وببساطة أشعلت النار في ابنه أمام عينه، أيوه أنا اللي أشعلت النار في البيت اللي كان فيه ابنه، وده كان كفيل إنه يضعف روحه، وإرادته، وقدرت أسيطر عليه بمنتهى السهولة، وبدأت خطوات تنفيذ المهمة، بس كان فيه شيء واحد واقف قدام سيطرتي الكاملة عليه، وقتل روحه، وهي الحب اللي في قلبه.

أشرف الحوتي شايل في قلبه حب عظيم لابنه خلاه وهب حياته واتمسك بيها للبحث عن طريقه لإعادة ابنه للحياة أو حتى الوصول لطريقة يقدر بيها يحصل تخاطر بينهم، بين الأب في عالم الظاهر والابن في العالم السفلي، والشعور ده هو اللي خلى سيطرتي عليه مش كاملة. وهنا جاء دور المقايضة.

تساءلت هالة في دهشةٍ بالغة:

- مقايضة؟

أجاب سيتالو في هدوء:

- نعم مقايضة، فلإعادة ابنه للحياة هو يحتاج إلى تعويذة موجودة في النسخة الأصلية من كتاب الموتى الفرعوني، والنسخة الأصلية موجودة بغرفة الميزان والحساب في العالم السفلي، وأنا الوحيد اللي أقدر أدخلها وقت مراسم الميزان. والمقايضة كانت إني أستخدم جسمه وروحه وإخضاعهم لسيطرتي الكاملة لحين إعداد كل شيء واكتمال الدايرة الخاصة بمراسم الحساب ودخول غرفة الميزان في العالم السفلي وإحضار كتاب الموتى، وبعد إعادة جنودي وجيشي مباشرة أعطيه الكتاب والتعويذة المطلوبة لإعادة ابنه للحياة.

عاودت هالة التساؤل بدهشةٍ أكبر:

- وإيه علاقتي أنا وكل اللي بيحصل باستعادة ملكك أو السيطرة على الدكتور أشرف؟

أطلق سيتالو ضحكةً عاليةً وأكمل حديثه:

– النسخة الأصلية من كتاب الموتى موجودة في غرفة الميزان في العالم السفلي، ومن أجل دخول الغرفة لا بد من اكتمال دائرة الحساب والمحاكمة؛ أوزوريس وإيزيس ونفتيس.

قدرت ألاقي الجسد المثالي لروح نفتيس والسيطرة عليها كانت سهلة ويسيرة جدًّا، موظفة في الآثار، مهتمة بعلم المصريات، زوجها راجل يعشق النساء لدرجة إنه غازل أختها، وكان سهل عليا إني أنشئ علاقة بين زوجها وأختها، وأخليها تشوف الخيانة بعينها.

وأصبحت روحها ضعيفة ومنهارة، ودخلت المصحة، وكان من السهل إني أسيطر على الدكتور المعالج لها، وهو الدكتور أيمن الألفي اللي كان بيحقنها بأعشاب فرعونية بدون أن يشعر، كنت بجهزها بنفسي تضعف روحها وتجعلها بيئة خصبة لاستقبال روح الملكة نفتيس، وفي النهاية قدرت أستدعي روح نفتيس للسيطرة على جسد نفيسة وروحها.

كان التحدي الأكبر إيجاد روح إيزيس، إيزيس روح نقية، مليئة بالحب واجهت ست الإله الشرير وجمعت جسد أوزوريس وضَّحت علشانه. روح إيزيس كانت بتنتقل من جسد فاني لجسد آخر.

بحثت كتير جدًّا لغاية لما لقيت الجسد اللي بيحتوي روح إيزيس، وهو جسد والدتك، ولكن للأسف قبل ما أوصل إليها حدث حادث السيارة، وتاهت مني روح إيزيس مرة تانية.

كان البديل الطبيعي والمنطقي هو انتي لأنك جزء من إيزيس، وفيكي ملامح روحها، طفلة صغيرة، أمها إتوفيت في حادث، وأصيبت بصدمة عصبية وظلت مش مصدقة إن والدتها إتوفيت وماتعرفش إن والدتها هي إيزيس أعظم ملكة فرعونية، وإنها تحمل بداخلها جزءًا من روح إيزيس.

أقنعتك بدراسة علم النفس، وخليت الدكتور منتصر يصر إنك تشتغلي هنا في المصحة، ويطلب ده من والدك، هيأت كل الظروف بالعمل طول السنين دي على إنكم تتجمعوا هنا.

زرعت الاهتمام بكتاب الموتى في عقلك وقدرته على إعادة الموتى للحياة، وده ساعدني جدًّا في تهيئتك لتكوني روح إيزيس العظيمة، وكان من حسن حظي إن جسدك الفاني يحمل روح عظيمة، وقوية، كنتي الاختيار المثالي لروح مليكتي إيزيس، ده بالإضافة إننا ممكن نعمل مقايضة انتي محتاجاها جدًّا.

قطبت هالة ما بين حاجبيها وهي تسأله:

– مقايضة إيه اللي محتاجاها؟

خطا سيتالو خطوات بطيئة يدور بها حول هالة واضعًا يده على كتفها اليمنى:

– نسخة كتاب الموتى اللي معاكي مش هي النسخة الأصلية، وما بتحتويش كل التعاويذ، زي مانتي عارفة يا دكتورة إن تعاويذ وطقوس كتاب الموتى عبارة عن صفحات تم تجميعها من مقابر الفراعنة المكتشفة وينقصها تعويذة إعادة الحياة، ودي اللي موجودة في النسخة الأصلية المحفوظة بغرفة الميزان

في العالم السفلي. وبما إنك عاوزة تعيدي والدتك للحياة فأعتقد إنك محتاجة التعويذة الموجودة بالنسخة الأصلية.

شعرت هالة بالأرض تهتزُّ تحت قدميها والرعشة تسري بجسدها بمجرد ذكر عودة والدتها إلى الحياة، فالحلم الذي عاشت عمرها تبحث عن وسيلةٍ لتحقيقه بإعادة والدتها للحياة أصبح قريبًا وحقيقة. ولكن هل ما تسمعه حقيقة أم وهم؟ هل هذا المتحدث هو روح الفرعون حقًّا تجسدت في جسد الدكتور أشرف الحوتي عالم الاجتماع أم ما تسمعه هو مجرد هذيان من رجلٍ مريضٍ عاش على وهم إعادة ابنه إلى الحياة؟

هل يعود الموتى؟ للفراعنة أسرار غامضة، وطلاسم لم يتم اكتشافها، وقدرات وقف العلم عاجزًا عن تفسيرها، هذه حقائق، ولكن هل من بين تلك الأسرار إعادة الموتى إلى الحياة؟ هل هي ابنة إيزيس حقًّا؟

ولكنها استجمعت قواها ووجهت نظرها إلى سيتالو مباشرة في عينيه قائلة:

– وإزاي أتأكد أن كل اللي بتقوله ده حقيقي؟

لم تُحرك نظراتها ساكنًا في سيتالو، فأمسك بها بكل قوةٍ وأكمل حديثه:

– سبق وقلتلك إن الحقيقة مش شرط تكون اللي تعرفيه، دايمًا فيه جانب آخر وحقيقة تانية لكل شيء. ثم إنك شاهدتي من قبل قدراتي في إرسالك للعالم السفلي من قبل، اللي كنتي بتشوفيه وبتسمعيه ماكنش وهم، كان تجهيزك لخلافة والدتك إيزيس، ورغم إنك كنتي بتقاومي بشدة إلا إنك

الجسد المثالي لإيزيس. كل الأمور كانت تسير كما خطط لها إلى أن بدأ الدكتور أيمن يتخلص من سيطرتي عليه خصوصًا بعد ما زار المغرب مرة تانية، في المرة الأولى زار المغرب واختفى عن بصيرتي ٦ شهور، لكن قدرت أسيطر عليه لما رجع، أما المرة الثانية اختفى شهر واحد، ولكنه عاد شخص مختلف تمامًا، وكان مافيش بديل إني أقضي عليه لأنه كان على وشك إنه يبلغك بكل مخططاتي ويضيع مجهود سنين ، بجانب احتياجنا لقلب مخلوق فاني لاستكمال مراسم المحاكمة والحساب.

ومافيش أفضل من إلهام الممرضة اللي كان متجوزها في السر بعقد عرفي، واللي اكتشفت بعد الزواج ان الدكتور أيمن شخص سادي جنسيًّا كان بيضربها ويحرقها بالنار علشان يوصل لمتعته الجنسية، وفي الآخر لما حملت منه صمم إنها تعمل إجهاض ورماها في الشارع وطردها من العيادة.

الانتقام أفضل دافع لارتكاب أبشع الجرائم، والإنسان اللي يرغب في الانتقام سهل جدًّا تزرع في عقلة كل الأفكار اللي انت عاوزها بمنتهى السهولة.

راحت إلهام العيادة وطلبت من الدكتور أيمن الكلام معاه، وأول ما اداها ضهره حقنته بالمخدر اللي أصابه بالشلل، وانتزعت قلبه زي ما أمرتها، وأنجزت العمل بمنتهى المهارة والدقة.

وأصبح كل اللي فاضل دخول غرفة الميزان والحساب في العالم السفلي وإقامة المحاكمة لإنسان فاني، وسحق قلبه الحي في الجحيم، واستدعاء أرواح جنودي وجيشي واستعادة مجدي وعرشي من تاني.

شعرت هالة بروحها تنهار بداخلها، وعيناها قد تحولتا إلى كاميرا سينمائية تعرض ومضات سريعة من حياتها، وطفولتها، وشبابها، كل ما مرَّت به منذ ولادتها وحتى تلك اللحظة القاسية الحالية.

لم تتحمل هالة ما يدور بداخلها رغم قوتها الداخلية، فانهارت تمامًا، وسقطت مغشيًّا عليها. وقف سيتالو ينظر إليها في حُبٍّ ومودة، فعيناه تكادان تنطق بمشاعر حبٍّ فياضة وتمتم قائلًا:

– يا مَن لم تعرف الفناء أبدًا، يا مَن لم تحضر إلى الهلاك، يا مَن تُسيطر على قلب أوزوريس، انهضي فقد حانت ساعة الحقيقة، انهضي فقد حان الوقت.

كان جسد هالة المُسجَّى على الأرض يرتعد كأن ماسًّا كهربيًّا قد أمسك به حتى فتحت عينيها بحدة، ونهضت واقفة في شموخ، ورأسها مرفوع لأعلى، ونظرت إلى سيتالو مبتسمة بابتسامة خفيفة قائلة:

– استطعت هزيمتها بدهائك.

نظر سيتالو إليها، ثم أحنى رأسه انحناءة خفيفة قائلًا:

– الأمل في إعادة والدتها إلى الحياة يا مولاتي هو من جعلها كعجينةٍ لينةٍ بين أصابعي بجانب الشك في ما تراه، هل هو وهم أم حقيقة؟ الشك هو السلاح الفتاك للسيطرة على الروح، ما إن يدبُّ الشكُّ داخل الإنسان حتى تصبح هزيمتُه والقضاء على روحه أسهل من سحق ذبابة.

ثم أشار إلى الإمام ناحية الجدار يدعوها للمضي قُدُمًا.

– حان وقت المحاكمة واستعادة المجد.

بدأت هالة تخطو خطوات منتظمة في زهو ناحية الجدار كملكةٍ تتجه نحو عرشها، وانفتح باب الغرفة لتدخل نفيسة وتتبعها في حركةٍ آليةٍ حتى انفتح الجدار ليشع منه ضوء عبره ثلاثتهم، فتبدَّلت ملابسهم إلى ملابس ملوك الفراعنة، كأن هذه الفتحة هي الطريق إلى عالم آخر، عالم يحمل الماضي بكل تفاصيله.

لم يكن الضوء الذي أشعَّ من الجدار وعبره ثلاثتهم ضوءًا عاديًّا، بل كان ضوءًا كثيفًا لا حدود له يملأ كل الفراغ حولهم؛ ليُشكِّل فراغًا من الضوء. لا حدود ولا زمان ولا مكان، لا بداية له ولا نهاية، لا مصدر له ولا مستقر، لا مشاعر فيه ولا شعور بأي شيء.

وفجأة انحسر الضوء لينكشف عالم جديد، صرخات تملأ الأرجاء تختلط بابتسامات وضحكات، أوراق تتطاير وصحف تُجمع وجنود أشداء رؤوسهم على هيئة طيور، ولديهم أجنحة سوداء تبدو قوية، وأجسادهم أجساد بشر مفتولي العضلات، يقودون أناسًا، بعضهم يسير على قدميه في فرحةٍ وسعادةٍ، والبعض الآخر يجرُّونهم جرًّا، والجميع عرايا.

ممرات كثيرة متشابكة بعض جدرانها باللون الأحمر الناري، وبعضها لونه رمادي كئيب، يبعث الضيق في النفس، لا ينظر شخص إلى آخر، كأن الكل مشغول بنفسه فقط. العرق يتصبب من الجميع بغزارة، لكنه يسقط في الفراغ، فلا توجد أرض، ولا سماء في تلك الممرات.

كانت هالة تسير بجانب سيتالو ونفيسة وهي كمن يغوص بداخل نفسه لتنتقل من موضع إلى آخر، حتى أتى جندي من هؤلاء الجنود يحمل كتابًا في يده، واقترب منهم، وانحني أمام سيتالو، وقدَّم إليه الكتاب مادًّا يديه به، فنظر سيتالو إلى الكتاب، وهَزَّ رأسه ببطء، ثم نظر إلى هالة، وأشار بإحدى يديه ناحية ممر من الممرات، فاتجهوا إليه.

كان الممر مختلفًا عن كل الممرات، فهو يضيق كلما اتَّسع، ويتسع كلما ضاق، كأنه مصنوع من المطاط. في نهاية الممر على امتداد البصر باب عليه رسوم دائرية، كأنها تدور حول نفسها، وكلما دارت ظهرت صورة لشخص وجهه مألوف لهالة، ولكنها لا تعرفه، وأما الباب فيقف عليه حارسان، أحدهما ناحية اليمين يقف مبتسمًا في مودة، والآخر ناحية اليسار يقف متجهمًا وغاضبًا.

كان ثلاثتهم كلما اقتربوا من نهاية الممر ارتفع صوتُ خطوات نفيسة عاليًا، كأنها دقات منتظمة تتسارع حتى تخيلت هالة أنها تسمع الخطوات تلهث، في حين كان سيتالو محافظًا على هدوئه.

وما إن وصلوا إلى الباب في نهاية الممر حتى فتح الحارسان الباب لتظهر قاعة كبيرة، ضوؤها خافت، جدرانها صامتة خالية من أي شيء، في منتصف القاعة رجل عظيم الجسد، رأسه رأس صقر، وجسده جسد إنسان، وأمامه أربعة رجال على هيئته نفسها، ولكن أقل حجمًا، يحملون ميزانًا ضخمًا أسود اللون.

وعلى جانب القاعة ثلاثة مقاعد ملكية؛ الأول ضخم، وتُزينه النقوش الذهبية، وعليه اثنان وأربعون اسمًا للآلهة، ويليه مقعد آخر أصغر قليلًا، ونقوشه فضية، ويليه مقعد آخر أصغر قليلًا، ونقوشه باللون البرونزي.

في الجهة المقابلة لتلك المقاعد الملكية فتحة صغيرة ضيقة يبدو الظلام خلفها مخيفًا وباردًا، يقف عليها رجل برأس أسد وجسم إنسان، عيناه حمراوان، وأظفار يديه طويلة وحادة وغليظة.

جلس سيتالو على المقعد الكبير يليه هالة وتليها نفيسة، ثم أشار بيديه للرجل الواقف على الفتحة المظلمة الذي نظر باتجاه الفتحة، فدخل أربعة رجال أشداء، يجرُّون الدكتور أيمن الألفي جرًّا على الأرض، وهو مُنهك القوى خائر الإرادة، في صدره فتحة فارغة مكان قلبه، حتى وقفوا به أمام الميزان، وبعدها مباشرة دخلت الممرضة إلهام بزي أسود تمامًا، تحمل قلب الدكتور أيمن، فتلقفه منها الرجلُ عظيمُ الجسد، الواقف على الميزان، ووضع القلب في الميزان، ثم اتَّجه إلى سيتالو، وأعطاه لفافة من ورق البردي فتحها سيتالو، وبدأ يقرأ منها بصوتٍ عالٍ:

– هلا يا من أنت ممجَّد في العالم السفلي، هلا يا من أنت عظيم وقادر على صناعة الزمن والمكان والاتجاهات، لقد أتينا إليك لنُقدم هذا القربان، هذا القلب الحامل للشرور، لننال صحائف فتح باطن الأرض وإعادة الحق إلى صاحبه، ابنك البار أوزوريس أتى إليك لاستعادة عرشه وتقديم قُربانه وبصحبته خليلتاه إيزيس ونفتيس أربابك.

ما إن انتهى سيتالو من قراءة المكتوب حتى أشار إلى الرجل عظيم الجسد، ذي وجه الصقر، فقام بوضع ريشة في كِفَّة الميزان الأخرى، وما إن هبطت كِفَّة الريشة حتى هبَّت رياح عاتية داخل الغرفة، وتطايرت أوراق من كل جانب، وتجمَّعت فوق بعضها أمام قدمي سيتالو، وتراصَّت فوق بعضها البعض، وكوَّنت كتابًا مجمعًا لتلك الصحائف المنفردة.

ملأت البهجة والابتسامة وجه سيتالو، واتسعت عيناه من السعادة، وانحنى يلتقط الكتاب، وكانت هالة تتابع ما يحدث في سعادة، كأنها الملكة إيزيس، واقتربت من عودتها إلى العرش بجانب أوزوريس، فتجولت عيناها في زهو في أنحاء الغرفة، كأنها تُودِّعها قبل تستلُّم عرشها، فتلاقت عيناها بعيني الدكتور أيمن. كانت عينا الدكتور أيمن تحملان نظرة غريبة، نظرة توسُّلٍ واستعطافٍ، والكثير من الرعب مما هو قادم.

شعرت هالة بشيءٍ يتحرك بداخلها، وصور تتشكَّل أمام عينيها، الكثير من القتل والدماء، صرخات تُدوي في أذنيها، كأنها تخرج من جحيمٍ مُستعرٍ، منازل تُهدم وأطفال تبكي ونساء تنوح.

ازداد تحرُّك هذا الشيء حتى أصبحت الحركة ملموسة بداخل الحزام الذي يغطي وسطها فوق ملابسها، أمسك سيتالو بالكتاب وفتحه وبدأ في القراءة:

– موضع العبودية قد فُتح، ذلك الذي أُغلق قد فُتح، أنا أوزوريس المنتقم لعرشه، ساقي ثابتةٌ، خطواتي قويةٌ، قدَّمت قرباني وحصلت على

مكافأتي، فليُفتح باطن الأرض، ولتخرج جيوشي لاستعادة ما هو حقٌّ لي وسُلب مني.

دوَّت أصوات مختلفة داخل القاعة، واختلطت بصوت الرعد، وهبت رياح عاتية سوداء، وبدأ الجدار ينشقُّ، فوقف سيتالو ناظرًا نحو الجدار ينتظر. مدَّت هالة يدها داخل هذا الحزام الملفوف حول وسطها، وأمسكت بهذا الشيء الصلب الذي يتحرك، وأخرجته، ونظرت إليه، فوجدته قلادة عين حورس.

جحظت عينا هالة وهي تنظر إلى القلادة، كأنها استعادت وعيها، ونظرت حولها في رعب مما يحدث، ووجدت الجدار يُفتح، وسيتالو في انتظار خروج جيشه، وهذا الرعب الأسود القادم من الجدار.

وفي ظِلِّ حيرتها ورعبها نظر إليها الدكتور أيمن، وأشار إلى الميزان قبل أن تسقط يده بلا حراكٍ، فألقت هالة بالقلادة داخل الميزان، فانفجر الضوء الأبيض داخل الغرفة، وتلاشى كل شيء فجأة.

كان المقدم عزت يجلس في مكتبه، وأمامه تجلس الممرضة إلهام، وقد انهارت تمامًا من البكاء، وتقسم أنها لم تقتل الدكتور أيمن الألفي، أو تنتزع قلبه، والمقدم عزت يتلو عليها بيانات ورقة الزواج العرفي بينها وبين الدكتور أيمن، وظل يُحاصرها بالأسئلة حتى انهارت وبدأت في الاعتراف:

– أنا فعلًا كنت متزوجة من الدكتور أيمن بعقد عرفي في فترة عملي معاه في العيادة لأني حبيته جدًّا. ورغم إني بعد الزواج اكتشفتُ أن الدكتور أيمن

شخص سادي جنسيًّا، وكان بيعذبني، إلا إني ماقدرتش أكرهه، وفِضل حبُّه جوايا لغاية ما حصل حمل، الدكتور أيمن أصرَّ إني أنزِّل الجنين، وفعلًا عملت إجهاض، وبعدها مباشرة طلقني، رغم كل ده إلا إن حبه فضل جوايا معذبني، اشتياقي وحبي ليه كان خنجر مزروع جوه قلبي بيؤلمني باستمرار.

يوم الحادث حسيت بشوق وحنين طاغي للدكتور أيمن، وكلمته، وطلبت منه إننا نتقابل لأني محتاجة أتكلم معاه، رفض وقالي إنه في العيادة منتظر شخص يقابله في موضوع مهم، وطلب تأجيل المقابلة معايا، لقيت نفسي من غير ما أشعر بروح العيادة رغم اني عندي نباطشية في المستشفى، بس يمكن اشتياقي ليه في اللحظة دي كان أكبر من أي شيء.

قابلني بطريقه سيئة جدًّا، وأهان مشاعري، وفي لحظة غضب لقيت على المكتب حقنة غرزتها فيه، ولما لقيته وقع في الأرض شِبه مشلول ومش قادر يتحرك لأن الحقنة كانت عقار بنزوديازيبين وده بيصيب بشلل مؤقت. خفت وحسيت بالرعب جريت ونزلت بسرعة، وأخدت تاكسي ورجعت للمستشفى.

ما إن انتهت إلهام من اعترافها حتى دخلت في نوبة بكاء حادة، وأمر المقدم عزت العسكري الموجود على باب مكتبه باصطحابها إلى الحجز الموجود بالقسم إلى حين عرضها على النيابة بتهمة الشروع في قتل الدكتور أيمن الألفي.

وظَلَّ السؤال الصعب يشغل عقل المقدم عزت: لو كان اعتراف إلهام حقيقيًّا، فمن يا تُرى قتل الدكتور أيمن؟ من الذي استغل تأثير العقار على الدكتور أيمن، وانتزع قلبه بمنتهى الوحشية؛ مما تسبَّب في مقتله؟

ظَلَّ المقدم عزت يُراجع في عقله الأحداث، والأدلة، وكذا أقوال الدكتورة هالة والممرضة إلهام والدكتور منتصر، وقد كان الأمر مُحيِّرًا جدًّا بالنسبة له حتى خطر في ذهنه سؤال:

– لماذا كتب الدكتور أيمن الألفي خطابًا للدكتورة هالة؟

لقد طلب مقابلتها، وكانت في الطريق إليه، والمفترض أنه قد قُتل بغتةً ودون سابق إنذار، فمتى كتبَ هذا الخطاب؟ ومَن كان سيسلمه إليها؟ وهل انتظر القاتل الدكتور أيمن حتى ينتهي من كتابة الخطاب ثم قتله ووضع الخطاب في مكان يسهل إيجاده؟ لمعت عينا المقدم عزت فرحًا، كأنه وجد طرف الخيط الصحيح.

كانت هالة ملقاة على الأرض في غُرفتها بلا حَراكٍ، حين دخلت عمتُها إلى الغرفة فخرجت منها شهقةٌ حادةٌ، وانكفأت عليها تحتضنُها؛ لترفع رأسها عن الأرض وهي تحاول إفاقتها، وظلت عمتها تهتف باسمها، وتحاول إفاقتها حتى بدأت تستعيد وعيها، فساعدتها على الصعود إلى سريرها، واحتضنتها في حنانٍ بالغٍ، وهالة تنظر حولها في ذهولٍ وهي تقول:

– أنا فين؟ إيه اللي حصل؟

وضعت عمتُها يدها على خَدِّ هالة في حنانٍ بالغ وتأثُّر شديد من حالة هالة:

– انتي في حضن عمتك يا هالة، قولتيلي هاطلع أغير هدومي واروح المصحة وطلعتي، ولما لقيتك اتأخرتي أوي طلعت أطمن عليكي لقيتك واقعة على الأرض وفي دنيا غير الدنيا.

ازدادت نظرة الذهول في عيني هالة، وتصارعت الأسئلة في عقلها:

– هل كان ما رأته وهمًا أيضًا؟

– سيتالو وسيطرته على الدكتور أشرف الحوتي، نفتيس، روح أوزوريس، غرفة الحساب والميزان، تلك الممرات في العالم السفلي، الضوء الشديد الذي أعمى بصرها. هل كان كل هذا وهمًا وهي لم تغادر غرفتها بالفعل؟

ران الصمت فجأة على الغرفة، فهالة في ذهولٍ مما يحدث لها، وعمتُها في بكاء وحزن لما آلت إليه أحوال هالة، لم يقطع هذا الصمت سوى طرقات على الباب من الدادة أم هاني لتخبر هالة وعمتها بوجود استدعاء لها من النيابة العامة في صباح الغد؛ لأخذ أقوالها في قضية مقتل الدكتور أيمن الألفي.

في الصباح كانت هالة مُنهكة ومُتعبة جسديًّا وعصبيًّا، وقد بدا ذلك جليًّا عليها؛ مما دعا والدها وعمتها إلى الإصرار على مرافقتها إلى النيابة في أثناء الإدلاء بأقوالها.

جلست هالة أمام المحقق وهي في حالة يُرثى لها، فخرجت منها الكلماتُ تترنَّح تحت ضغط أسئلة المحقق.

في البداية سردت هالة عن معرفتها بالدكتور أيمن، وحالة نفيسة، والتحقيق الذي تم بالمستشفى، وزيارتها له في عيادته الخاصة، ثم اتصاله بها، وطلب مقابلتها لأمرٍ مهمٍّ، وذهابها إلى العيادة وحادث مقتله ومقابلة المقدم عزت حتى الخطابً الذي تركه لها الدكتور أيمن، وكان المقدم يستمع إليها في إنصاتٍ واهتمام، حتى ذكرت الخطاب الذي تركه لها الدكتور أيمن، فقاطعها المُحقق، وأخرَج الخطاب قائلًا:

– تقرير المعمل الجنائي بخصوص الجواب ده بيقول إن الجواب مش بخط الدكتور أيمن يا دكتورة، يعني الدكتور أيمن مش هو اللي كتب الجواب ليكي.

عقدت هالة حاجبيها في دهشة قائلة:

– إمال مين اللي كتبه؟

تقدَّم المحقق بجسده للإمام وهو ينظر في عيني هالة:

– إحنا بعتنا للمعمل الجنائي عينات من خطوط اللي اشتبهنا فيهم، وكانوا بيتعاملوا مع الدكتور أيمن، وللأسف يا دكتورة هالة تقرير المعمل الجنائي بيقول إن الجواب ده مكتوب بخطك انتي، انتي اللي كتبتي الجواب ووضعتيه على مكتب الدكتور أيمن يا دكتورة.

شعرت هالة بالغرفة تدور بها فجأة، فوضعت يدها على رأسها وزاغت عيناها، قام المحقق من فوق مكتبه، ووقف أمام هالة مباشرةً وهو يتحدث بنبرةٍ حازمةٍ:

– انتي كتبتي الجواب ده علشان تبعدي الشبهة عن نفسك.

أجابت هالة بعصبيةٍ:

– أنا ماقتلتش الدكتور أيمن، ماقتلتوش.

عاود المحقق سؤالها:

– ليه كتبتي الجواب يا دكتورة؟ والسؤال الأهم اللي لازم تجاوبي عليه: ليه قتلتي الدكتور أيمن؟ انتي متهمة بقتل الدكتور أيمن الألفي، والتمثيل بجثته وانتزاع قلبه.

فجأة دبَّت القوة في جسد هالة المُنهك، خائر القو، وازداد صوتها حدة وكبرياء، ووقفت في عظمة وشموخ كأن روحًا تلبَّستها:

– أيوه قتلته، وانتزعت قلبه، أيمن الألفي قدر يحصل على تعويذة إعادة الموتى لما سافر المغرب، أوزوريس كان هايحصل عليها قبلي، الدكتور أيمن طلب مقابلتي روحتله لقيته مرمي على الأرض بجسده الفاني، قدرت أتخاطر مع روحه، وعرفت إن تعويذة إعادة الموتى في حوزته، وسيتالو قرب يوصله وينتزعها منه لإحياء جيشه وإعادة مملكته، طلبتها منه، رفض، وأصر إنه هايحرقها، وكان عاوز قلادة عين حورس اللي بحوزتي علشان تكتمل عملية حرق التعويذة.

هددته إني هانتزع قلبه علشان أحصل على التعويذة لإعادة إحياء أمي، أصرَّ على الرفض، فانتزعت قلبه لدخول العالم السفلي، وإعادة طقس الحساب والميزان والحصول على النسخة الأصلية من كتاب الموتى الفرعوني، وتعويذة إحياء الموتى.

ثم أطلقت ضحكات عالية جدًّا وهي تقول:

– أنا إيزيس، سيدة العالم السفلي، أنا إيزيس سيدة العالم السفلي، أنا إيزيس سيدة العالم السفلي.

أشَّر المحقق بالتأشير على أوراق التحقيق بإحالة الدكتورة هالة محمود العالم إلى مستشفى الأمراض النفسية والعصبية للتأكد من سلامة قواها العقلية بعد توجيه تهمة قتل الدكتور أيمن الألفي إليها.

ظلت هالة في مستشفى الأمراض العصبية والنفسية عدة شهور، وكل التقارير تشير إلى انهيار عصبي حاد، وأن حالتها لا تتقدَّم تمامًا، وطوال الوقت تهذي بأنها الملكة إيزيس، تلك الملكة الفرعونية الخالدة عبر الزمان، وكذا الهذيان ببعض الطقوس والكلمات من كتاب الموتى الفرعوني، وكان والدها الدكتور محمد العالم يُتابع حالتها مع صديقه الدكتور منتصر الذي يقوم بالاتصال بالمستشفى كل فترة لمعرفة تطور حاله هالة، حتى زار والد هالة الدكتور منتصر في المصحة ليستفسر منه عن حالة ابنته، وبعد أن قام الدكتور منتصر بالاتصال بالمستشفى الحكومي الخاضع لإدارة السجن الذي تُعالج به هالة، وطمأن والدها عليها، تجاذب والد هالة أطراف الحديث مع الدكتور منتصر عن الأحداث التي مرت بها هالة منذ قدومها من أمريكا وعملها بالمصحة، وذلك المريض المسمى سيتالو أو أشرف الحوتي، وعندها قطَّب الدكتور منتصر حاجبيه في دهشةٍ، ونظر إلى والد هالة قائلًا:

– أشرف الحوتي! سيتالو! أنا ماعنديش مريض في المصحة بالاسم ده.

كأن هذه الكلمات جرس الإنذار للدكتور أشرف الحوتي الذي كان يستعد لإجراء أول وأضخم تجربة للتخاطر والاستبصار في تاريخ البشرية، تلك التجربة التي ظل سنوات وسنوات يتنقل بين الأبحاث والدراسات والتجارب لإجرائها، وإثبات صحة هذا العلم وأهميته، الذي كان يرى أنه سيغير الكثير والكثير من الأحداث المستقبلية، وسيعيد تشكيل المستقبل البشري، وإتاحة معلومات عن المستقبل، ونقل البيانات والمعلومات بين الأفراد، وإثبات أن قدرات العقل البشري لا حدود لها.

ولكن لم يكن صوت الدكتور منتصر يقع على مسامع الدكتور محمود العالم والد هالة، بل دوَّى كالرعد في أذن الدكتور أشرف الحوتي، وهو يُجهِّز لتجربة التخاطر والاستبصار التي سوف يُجريها مع ابنه أدهم.

كأن تلك الكلمات كانت نذيرًا للدكتور أشرف الحوتي بخطورة التجربة على حياة ابنه وحياة الكثيرين، ولعلها أيضًا كانت استشرافًا للمستقبل عن طريق قُدرة الدكتور أشرف الكبيرة في علم الاستبصار.

فاتصل الدكتور أشرف بأدهم ابنه وهو في طريقه إلى بيت جدِّه بإحدى قرى الصعيد ليبلغه بإلغاء التجربة، وضرورة عودته مره أخرى إلى القاهرة على وجه السرعة.

وما إن عاد حتى احتضنه بقوة، وظَلَّ يُقبِّل كل جزء في رأسه وجسده، وأدهم ينظر إلى والده وهو بين أحضانه مُتعجبًا، فاحتضن والده وجنتيه بكفَّيه ناظرًا إلى عينيه بكل حنان الأبوه قائلًا:

- لو علمتُم ما في الغيب لاخترتم الواقع.

تمت بحمد الله